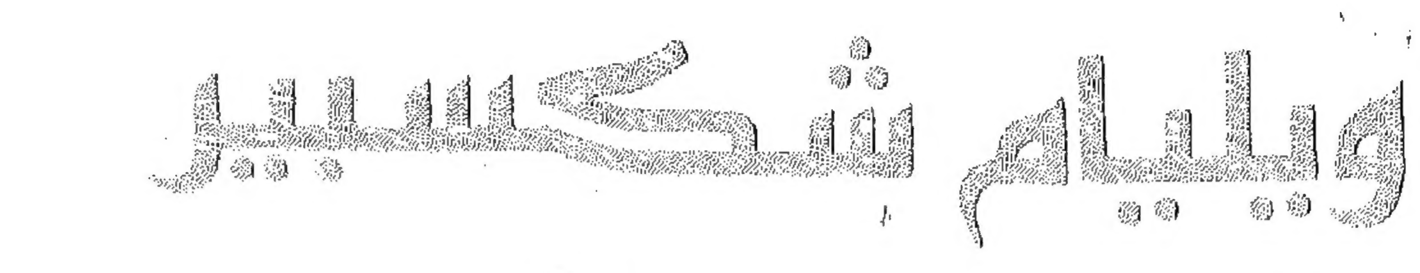
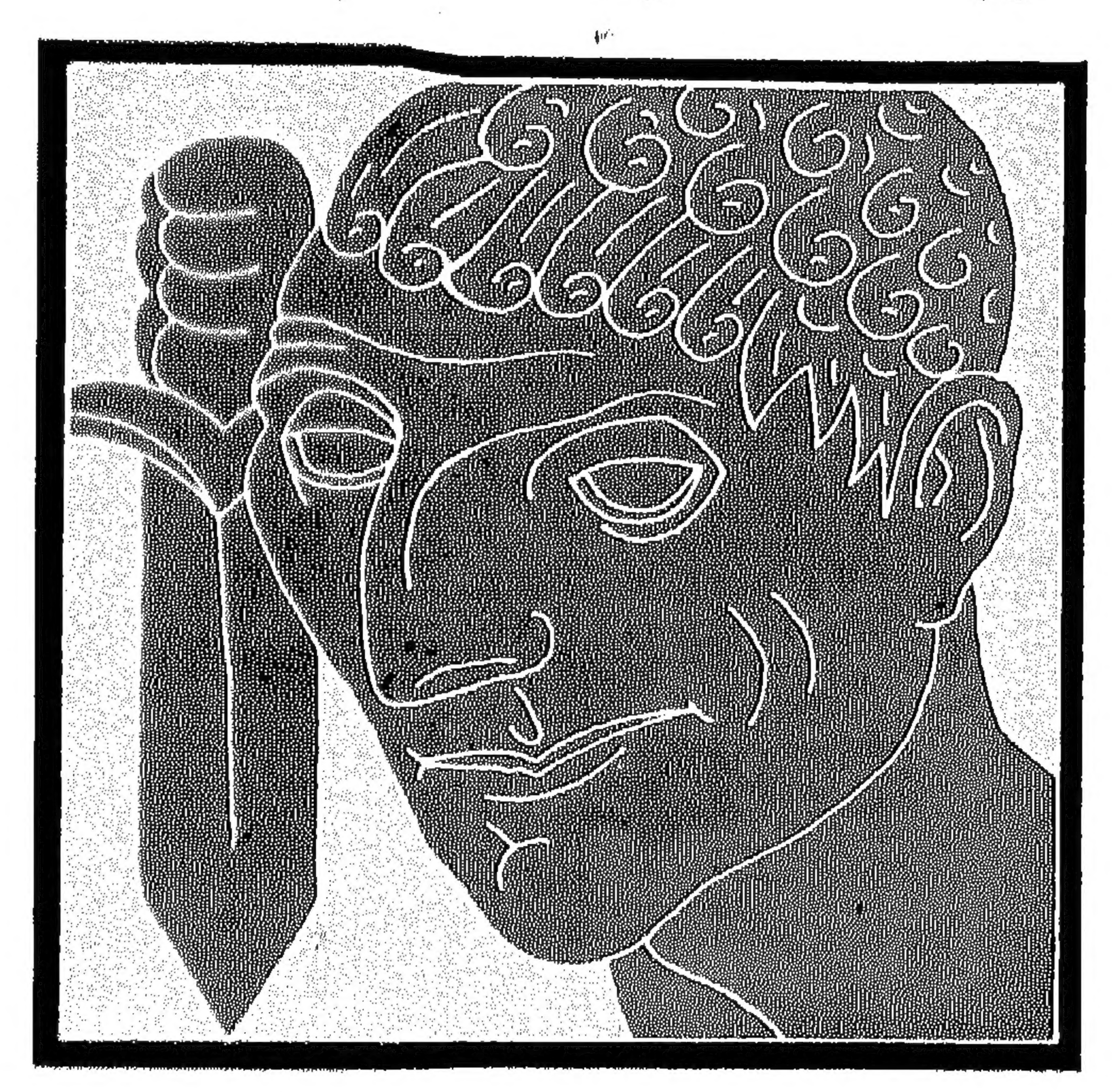
المكتبة الكلاسيكية
دار الشروق



يوليوس قيصر

ترجمة : حسين أحمد أمين



دار الشروق

يوليوس قيصر

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

© دار الشروق

القاهرة ١٦ شارع حواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣

فاكس ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس 93091 SHROK UN

بيروت : ص . ب . ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

فاكس ٨٦٧٥٥٥ - تلكس SHOROK 20175 LE

ويليام شكسبير

يوليوس قيصر

ترجمة : حسين أحمد أمين

دار الشروق

مقدمة

(١)

نُشرت مسرحية « يوليوس قيصر » لشكسبير لأول مرة عام ١٦٢٣ (أى بعد وفاته بنحو سبعة أعوام) ، ضمن الطبعة الأولى مما يُسمَّى بالفوليو Folio [١] . أما عن تاريخ تمثيلها للمرة الأولى فالأرجح أنه سبق تاريخ النشر بربع قرن ، وأنه كان خلال خريف عام ١٥٩٩ . وكان عرضُها فى مسرح « جلوب » Globe بلندن ، وهو المسرح الذى شُرِع فى بنائه فى يناير أو فبراير عام ١٥٩٩ ، وكان الفراغ منه فى أواخر صيف العام نفسه . والراجح أن يكون شكسبير قد كتب مسرحيته فى النصف الأول من ذلك العام ، (قبل شروعه فى كتابة « هاملت ») ، وكان وقتها فى الخامسة والثلاثين من العمر .

كان شكسبير قد فرغ لتوه من كتابة مسرحياته الخاصة بالتاريخ الإنجليزى [٢] : هنرى السادس بأقسامها الثلاثة ، (١٥٩٠ ـ ١٥٩١) ـ ريتشارد

---

(١) الفوليو : الكتاب ذو القَطْع الكبير . وهو كتاب يتألف من صفحات كبيرة ، يزيد طول كل منها على ٣٠ سم . وقد ضَمَّت طبعة الفوليو عام ١٦٢٣ ـ لأول مرة ـ كافة مسرحيات شكسبير (عدا مسرحية « بركليس») . ويستخدم هذا المصطلح (folio) للتمييز بين تلك الطبعة والطبعات التى ظهرت أثناء حياة شكسبير لعدد من مسرحياته فُرادَى ، وكانت كلها من قَطْع الرُّبع Quarto . وقد حوت طبعة الفوليو الأولى ثمانى عشرة مسرحية لشكسبير لم تنشر من قبل ، من بينها « يوليوس قيصر »

(٢) عدا مسرحيته « هنرى الثامن » التى كانت آخر مسرحية يكتبها شكسبير (١٦١٣) ، مستعينا فيها بغيره ، أو استعان الغير به لكتابة بعض مشاهدها .

الثالث ، (١٥٩٢) ـ ريتشارد الثـاني ، (١٥٩٥) ـ الملك جون ، (١٥٩٦) هـنرى الرابع بقسميْها (١٥٩٧ ـ ١٥٩٨) ـ هنرى الخامس ، (١٥٩٩) . وقد اختارهذه المرّة أن يكتب عن يوليوس قيصر الذى شغف الناس فى العصر الإليزابيثى بدراسة سيرته ، وكانوا يرونه أول رومانى يدرك ضرورات ومزايا النظام الملكى . ويسهم إلى حّد كبير فى تحويل الدولة الرومانية إليه .

وقد اعتمد شكسبير بصفة رئيسية فى كتابته للمسرحية على ترجمة سير تومـاس نُورث الإنجليزية لكتاب «السّير » لبلوتارك ، وإن كان قد أفاد من كتب أخــرى فى الموضوع . وقد لقيت ترجمة نورث (وهى عــن الفرنسية لا عن الأصل اليونانى) نجاحا عظيما تشهد به الطبعات الإنجليزية السبع للكتاب فى الفترة مـا بين عـام ١٥٧٩ (تاريخ الطبعة الأولى) وبين نهاية القرن السابع عشر . فأما مادّة المسرحية فمستقاة من ثلاث سير فى كتاب بلوتارك ، هى تلك الخاصة بماركوس بروتس . ويوليوس قيصر ، وماركوس أنطونيوس . والواقع أن شكسبير أورد فى مسرحيته العديد من الفقرات المقتسبة من ترجمة نورث بعد تغيير طفيف يقتضيه الشعر المنثور . وإنما تتجلّى عبقرية شكسبير الدرامية فى انتقائه للمادة المتوفرة فى المصدر ، وفيما أضافه إليها أو حذفه أوغّيره منها ، وفى تناول مخّيلته للموضوع . ومن أبرز الأمثلة على ما نقول خطبتا بروتس وأنطونيو بعد مصرع قيصر ، والتصوير الواقعى للغوغاء وتقلّب مشاعرها وتذبذب مواقفها ، وهو ما لانجد له مقابلا عند بلوتارك .

صحيح أن بلوتارك يزودنا بصورة حية لكل من قيصر وبروتس وأنطونيو . ولكاسيوس إلى حّد أقل ، إلا أن شكسبير تناول التفاصيل الواردة فى كتاب بلوتارك بطريقته الخاصة ، وأعاد بطريقته الخاصة رسم ملامح تلك الشخصيات . وعلى سبيل المثال : نجده يبرز بعض عيوب قيصر دون أن يخفى بذلك جوانب عظمته ، ويبرز حقد كاسيوس وافتقاره إلى الثبات ثم يتحين الفرص لإثـارة تعاطفنا معه ، ويوضح انتهازية أنطونيو مع الإشادة بحبه الصادق لقيصر ، ويؤكـد على نبل شخصية بروتس ومثاليته مع إظهار العيوب الخطيرة فيه .

وكما هى عادة شكسبير فى تناوله للأحداث التاريخية فى مسرحياته ، فإنه لم يلتزم التزاما صارما بالحقائق التاريخية حين يخّل مثل هذا الالتزام بالضرورات الفنية ، أو بتصوير الشخصيات على النحو الذى ارتآه ، أو بالحبكة الدرامية وما تقتضيه المسرحية من ضغط للوقت والأحداث . مثال ذلك : يذكر بلوتارك أن بروتس ورفاقه توجّهوا عقب قتلهم لقيصر مباشرة إلى ساحة الكابيتول حيث ألقى بروتس خطبته . أما خطبة أنطونيو فكانت فى اليوم التالى . وأما عودة أوكتافيوس إلى روما فكانت بعد نحو ستة أسابيع من اغتيال قيصر . وسرعـان ما دبّ الشجار بين أنطونيو وأوكتافيوس حول تدبير الأمور فى رومـا ، ومضى عام ونصف عام من الخلافات بينهما ، بل والقتال ، قبل أن يسّويا هذه الخلافات ويشكّلا مع ليبيدوس حكومتهم الثلاثية . . . كل هذا ضغطه شكسبير فى نحو أربع وعشرين ساعة !

(٢)

وقد أتقن شكسبير بناء مسرحيته هذه أعظم إتقان ، خاصة بفضل موازنته الدرامية بين الأطراف المتصارعة فيها . أما عن اعتراض البعض القائل بأن المسرحية مكّونة من قسمين ، بالنظر إلى مصرع يوليوس قيصر (الذى سّميت المسرحية باسمه) خلال المشهد الأول من الفصل الثالث ، فُيردّ عليه بأن مصرع قيصر هو النقطة المحورية لا النقطة الفاصلة فى المسرحية . ذلك أن الاهتمام يتركز قبل اغتياله على التآمر لقتله ، ويتركز بعده على خطوات الأخذ بثأره . فقيصر حيًّا ليس بأكثر قوة أو تأثيرا منه ميّتا ، بل وتهيمن روحه على النصف الثانى من المسرحية أكثر مما هيمنت على النصف الأول . وها نحن فى ختامها نرى كُلاًّ من بروتس وكاسيوس يُنهى حياته بالانتـحار ، فيكون اسـم قيصر آخر ما يتلفّظ به .

فإن كان مصرع قيصر هو النقطة المحورية ، فإن نقطة التحّول فى سلسلة الأحداث نجدها بعد دقائق من الاغتيال ، لحظة دخول خادم أنطونيو على المتآمرين وهم يتأهّبون للخروج إلى الساحة العامة . فبعبارة « يدخل خادم » يتحّول مجرى المسرحـية بأسره ، ويبدأ ردّ الفعل الذى يدوم بعد ذلك حتى النهاية . ويمكن تشبيه

حديث الخادم إلى المتآمرين بالنغمات الأولى من اللحن الرئيسى الختامى فى المعزوفة الموسيقية . كذلك فإن هذا الحديث ـ وهو الذى نقل فيه رسالة أنطونيو إلى بروتس ورفاقه ـ يكشف لأول مرة عن جانب من شخصية أنطونيو يُطّوره شكسبير فى النصف الثانى من المسرحية . فنحن حتى تلك اللحظة لم نره يلعب دورا ذا شأن ، ولا هو تفّوه خلال الفصلين الأولين بأكثر من بضع كلمات ، مما قد يعّزز من وصف بروتس له بأنه « مجّرد عضو من أعضاء جسد قيصر » . أما بعد سماعنا لرسالته التى نقلها الخادم ، فإننا نبدأ فى التحّول إلى رأى كاسيوس فيه ، وهو أنه « خصم ماكر واسع الحيلة » ، وهو ما يبرهنه خلال باقى المسرحية ، خاصة منذ إلقائه لخطبته البديعة فى الجماهير .

ويقودنا هذا إلى الحديث عن شخصيات المسرحية ، وأهمها أربعة :

يوليوس قيصر ، وبروتس ، وكاسيوس ، وأنطونيو . وقد راعى شكسبير أن يوضح فى كل منهم الشمائل الجديرة بالإعجاب والتعاطف معه ، مع إبرازه فى نفس الوقت للعيوب اللصيقة بشخصيته . .

يوليوس قيصر . .

دور قيصر فى المسرحية قصير بالمقارنة بأدوار بروتس وكاسيوس وأنطونيو ، ولا يمكن بالتالى أن يكشف من خلال أقواله أو أفعاله عن كافة نواحى شخصيته . غير أن الكثير من هذه النواحى نكتشفه فى ثنايا حديث الآخرين عنه ، محبّين ومُبغضين . وهى آراء متضاربة يمكّننا الجمع والتوفيق بينها من الخروج بالانطباع الذى أراد شكسبير أن يُحدثه عن قيصر ، شريطة أن نأخذ فى اعتبارنا دوافع الحسد والحقد ، أو الصداقة و الامتنان ، وراء تلك الآراء .

وقد ذهب الكثيرون من النقاد إلى أن الصورة النهائية لقيصر فى المسرحية صورة لا تدعو إلى الإعجاب به . فهو فيها رجل مغرور جعجاع ، رهيب الاعتداد بذاته ، عظيم الطموح ، شديد الرغبة فى أن يُتّوج ملكا ، ضعيف المبالاة بمشاعر الغير . . إسمعه يقول . .

« لوكنُت مثلكم لأمكن إقناعي . ولو كان بوسعي التوسل إلى أحد لا ستجبت لتوسلات الغير . غير أنى ثابت لا أتزحزح ، شأن النجم القطبى الذى لا يُدانيه فى ثباته كوكب آخر . . إن السماء مرصّعة بمصابيح لا حصر لها ، كلها من نار ، وكلها مضىء . غير أن واحدا من بينها فحسب هـو الثابت فى موضعه . وكذا فى عالمنا هـذا : هو ملىء بالرجال ، والرجال من دم ولحم ، كلهم ناطق يفهم . غير أنى لا أعرف سوى واحد من بينهم فحسب لاتزحزحه عن مكانته الرفيعة دفعة أو هجوم . وأنا ذلك الرجل » ! (الفصل الثالث : المشهد الأول)

فهؤلاء النقاد يرون أن شكسبير قصد إلى رسم صورة بغيضة لقيصر ، فى حين يرى آخرون أن صورة قيصر فى هذه المسرحية هى أفضل من صورته فى « سير » بلوتارك . ولو كان شكسبير يقصد حقا أن يسىء إليه ، لاستخدم الكثير مما أورده بلوتارك من صفات وأحداث تُشينه .

ومما يعّزز من هذا الرأى الثانى ثلاثة أمور . .

الأول : أن طموح قيصر وغروره إن كانا نقطتى ضعف فيه ، فهما نقطتان كثيرا ما يخالطان صفة العظمة . ومع ذلك فلم يكن طموح قيصر بذلك الطموح الشرير الذى لا يعرف حدًّا مما نجده عند مكبث . أضف إلى ذلك أن ذكر عيوبه يُضفى على رسم صورته واقعية تُقرّبه منا ، وتجعـله بشرا مثلنا ومثل غيره من شخصيات المسرحية .

والثانى : أن معظم أحاديث الغير التى تسىء إلى صورة قيصرترد إما عل ألسنة أتباع عدوّه بومبى ، من أمثال فلافيوس ومارولوس فى المشهد الأول من المسرحية ، أو على ألسنة الحاسدين لقيصر والحاقدين عليه ، من أمثال كاسيوس وكاسكا . وبالتالى وجب الاحتياط قبل تصديقها .

والثالث : أن وصف قيصر لنفسه الذى يوحى إلى المشاهد أو القارىء بأنه عظيم الغرور ، هو من قبيل الأساليب المسرحية المقبولة فى العصر الإليزابيثى لبيان معالم الشخصية . فالقارىء أو المشاهد فى عصرنا هذا قد ينفر من حديث قيصر السابق

الإشارة إليه ، ويرى فيه دلالة أكيدة على شدة اعتداده بذاته . أما جمهور المسرح فى زمن شكسبير فقد اعتاد هذا الأسلوب المباشر لوصف الشخصية لنفسها ، وكان يراه أقصر الطرق إلى بيان معالمها . حتى إذا ما قال قيصر عن نفسه إنه لا يخاف أحدا أو شيئا ، فهم الجمهور أن المؤلف إنما يريد وصفه بالشجاعة ، لا اتهامه بالغرور .

ومع ميلى الشخصى إلى اعتبار صورة قيصر فى المسرحية أبعث على النفور منها على الإعجاب ، أذهب إلى القول بأن المقتضيات الدرامية هى التى حَدَت بشكسبير إلى تقليص تعاطفنا مع قيصر والحد من إعجابنا به ، حتى لا نرى فى اغتياله مجرد عمل وحشى لا مبرر له ، وحتى يتوازن تعاطفنا مع قيصر وأصدقائه مع تعاطفنا مع بروتس وزمرته ، وحتى يحتفظ العمل الدرامى بعنصر الصراع الذى يستلزم بيان فضائل قيصر وعيوبه ، وبيان فضائل المتآمرين عليه وعيوبهم .

ماركوس بروتس . .

بروتس هو بطل المسرحية بكل تأكيد ، حتى وإن سُمّيت باسم « يوليوس قيصر » . فدوره هو أطول الأدوار فيها ، واهتمامنا طوالها مركّز على تأملاته ومشاورته لنفسه وقراراته وعلاقاته بالآخرين . . والواضح أن شكسبير كان شديد العناية بدراسة شخصية بروتس ، غير راض تماما عن تفسير بلوتارك لاغتياله قيصر بطموحه إلى أن يخلفه ، وبحزازات شخصية ، رغم تأكيد بلوتارك لنزاهته ونبل أخلاقه وحكمته . فكان أن غيّر شكسبير من ملامح الصورة التى أوردها كتاب « السِّير » . بأن أكّد نقاء سريرته وبراءة بواعثه ونبل شخصيته ، مع إبراز افتقاره إلى الحكمة ووقوعه المتكرر فى أخطاء جسيمة .

وقد اختلف النقاد أيضا فيما بينهم بصدد شخصية بروتس كما صّورها شكسبير . فغالبية القدامى منهم رأت فيه إنسانا رائعا من كافة الوجوه ؛ هو المثل الأعلى للنبل والنزاهة والتجرد عن الأهواء الشخصية . غير أنهم ينسون أن شكسبير نسب إليه من العيوب مالا نجد له مقابلا فى بلوتارك . فهو فى المسرحية شديد الاعتداد بأمانته ، وفى بعض الأحوال مغرور كقيصر . وهو ينقاد كالضعيف لتحريض كاسيوس ، وينخدع كالساذج لحيل أنطونيو ، ويتخذ وقت الأزمات من القرارات ما يتضح خطأه وخطله فيما بعد ، ضاربا عرض الحائط بنصح من هو أكثر حكمة وأوسع خبرة

منه ، فيُسهم بذلك فى هزيمـــة قضيته وقضيتهم . . قد عميت بصيرته عن الواقع بسبب سذاجته الغريبة ، ومثاليته المفرطة . . فهو الذى رفض اقتراح كاسيوس بقتل أنطونيو مـع قيصر تجنّبا لخطره ، ثم اقتراحه بألايسمح لأنطونيو بالتحدث إلى الجماهير ، ثم اقتراحـــه بإبقاء الجيش فى سارديس حتى يُنهك العدو باضطراره إلى البحث عنه ، والسير إليه . . . إلى آخره . غير أن الأخطر من كل هذا أنه لم يخطر بباله أنه إنما يضّر الدولة بقتله قيصر دون أن يعّد العّدة سلفا لإرساء دعائم نظام جديد يحّل محله ، ودون أن يتخذ الإجراءات الكفيلة بصيانة الأمن والنظام فى الدولة بعد التخلّص من رئيسها . فها نحن نراه وسائر المتآمرين بعد قتلهم لقيصر حيارى لايدرون ما يصنعون ، ولايفكرون إلا فى غسل أيديهم بدم القتيل والخروج إلى الشوارع بسيوفهم الملطخة بالدم ، يهتفون « السلام ! الحرية ! » . . فهل من المستغرب إزاء ذلك أن نرى أنطونيو ، لابروتس ، هو الذى تمكن من الهيمنة على المدينة فى خلال أربع وعشرين ساعة من مصرع قيصر ، وأن يهرب بروتس وكاسيوس من روما خوفا على حياتهما ؟

إن الصورة التى رسمها شكسبير له هى صورة رجل منقسم على نفسه ، وفى حالة صراع داخلى دائم . فإن تذكرنا أن مسرحية « يوليوس قيصر » كانت السابقة مباشرة لمسرحية « هاملت » ، فقد نرى فى شخصية بروتس أول معالجة من جانب شكسبير للإنسان الممزّق موزّع النفس . . فهو يحب قيصر ويعجب بمواهبه الفّذة ، غير أن ولاءه للجمهورية وخوفه من عواقب طموح قيصر أكبر من ولائه للصديق . وهو رجل نزيه نبيل ربط نفسه بعصبة من الناس لا تحدوهم غير الاعتبارات والحزازات الشخصية ، فهو لا يرى عيوبهم ، ولا فى مقدوره حتى أن يفهم هذه العيوب . فأما عن دوافعه وأسبابه فسليمة لا غبار عليها ، غير أنه دائما يصل عن طريقها إلى نتائج خاطئة . . واختصارا ، فهو مثال حّى لإنسان قويم الخلق ليس بوسعه أن يمّد ناظريه إلى أبعد من القانون الأخلاقى الصارم الذى يلزم نفسه به .

لقد بالغ غالبية النقاد فى الإشادة ببروتس رغم عناية شكسبير بإظهار أوجه القصور فى شخصيته . . ولعل أهمّ ما مال بهم إلى ذلك تلك الملامح واللمسات الجميلة التى أضفاها شكسبير نفسه على علاقاته الشخصية ، بإبرازه حبه لزوجته ،

وحب زوجته له ، وعطفه على خادمـــه لوسيوس ، وقوة ولاء أصدقائه له ، واحترام الكافة ـ حتى أعدائه ـ لشخصيته . ولنلاحظ أنه فى ساعة الهزيمة فى ختام المسرحية كان حزن أتباعه عليه لا على أنفسهم . وهى محبة عبّر عنها بروتس بقوله :

« إن قلـبى لتغمره السعـادة إذ أرى أننى ما صادفـت فى حياتى امرءًا إلا كان وفيًا لى . »

كايوس كاسيوس :

دور كايوس كاسيوس هو ثانى أطول الأدوار فى المسرحية (بعد بروتس) . وقد استند رسم شكسبير لصورته فى المقام الأول إلى الجملة التالية فى بلوتارك :

« غير أن كاسيوس ، وهو الرجل السريع الغضب الذى كان يكّن من العداء لقيصر أكثر مما يظهره من العداء للطغيان ، شرع فى تحريض بروتس عليه » .

فهو فى المسرحية رجل حقود بائس ، شديد المرارة ، شديد الإحساس بالنقص إزاء من يفوقه فى المواهب ، أو يعلوه فى المراتب . وقد كان قيصر محقا فى اعتباره رجلا خطرا ، عظيم الفراسة فى وصفه إياه :

« حبّذا لو كان أسمن بدنا ! غير أنى لا أخشاه . ومع ذلك فلو كان بالإمكان أن أستشعر الخوف لما كان ثمة من هو من واجبى أن أتجنّبه للتو غير هذا النحيل كاسيوس . . إنه كثير القراءة ، يلاحظ كل شىء يدور ، عظيم الفراسة فى إدراكه للبواعث وراء تصرفات الناس . . إنه لا يحب المسرحيات كما تحبها أنت يا أنطونيو . ولا يستمع إلى الموسيقى . نادرا ما يبتسم . فإن ابتسم فكأنما يسخر من نفسه ، محتقرا إيّاها إذ يدفعها أمر من الأمور إلى الابتسام . . أمثاله لايمكن أن يستشعروا الراحة وهم يرون رجلا أعظم منهم . ولذا فهم خطرون جدا » . (الفصل الأول ، المشهد الثانى) .

غير أن شكسبير مولع دائما بالموازنة بين العيوب والفضائل ، لايرى فى الناس خيرا محضا ولاشرا محضا . فما أن يحقق كاسيوس غرضه ويروى غليله باغتيال قيصر حتى تتحرر الجوانب الطيبة فيه من ربقة الحقد والغيرة ، فيضحى فى النصف الثانى من المسرحية إنسانا بوسعنا أن نحترمه ، بل وأن نحبه . . فهو كلما احتاج الموقف إلى اتخاذ

قرار حاسم ، يُظهر من الحكمة ونفاذ البصيرة أكثر مما يظهره الآخرون ، خاصة بروتس ، بحيث يمكن القول بأنه لو كان بروتس أخذ بنصائحه ومشوراته لزادت فرص نجاح قضية المتآمرين ضد يوليوس قيصر .

وهو قائد شجاع فى الحرب ، عظيم الحنكة فى القيادة ، واسع الخبرة بالناس ، قادر على إثارة ولاء أعوانه له ، قوى التعاطف مع أصدقائه فى محنهم ، وأكرم نفسا من أن يلقى تبعة الهزيمة على حماقة من لم يأخذ برأيه . . كل هذا يتضح لنا فى الفصلين الأخيرين ، فيمحو أو يعدل من الانطباعات التى أحدثتها عنه الفصول الثلاثة الأولى ، حتى لنكاد ننحاز إلى صفّه فى شجاره مع بروتس، ونرى بروتس ظالما له . (الفصل الرابع ، المشهد الثالث) ، وحتى لنقبل عن طيب خاطر نعى بروتس له بعد انتحاره إذ يقول . .

« وداعا آخر الرومان ! إنه لمن المحال أن تنجب روما شبيها لك . . أيها الأصدقاء ، إننى مدين لهذا الرجل الصريع بدموع أغزر مما ستروننى أسكبها . . سأجد الوقت لبكائك ياكاسيوس . . سأجد الوقت » . (الفصل الخامس ، المشهد الثالث) .

ماركوس أنطونيوس . .

لم يكن لأنطونيو ـ كما سبق القول ـ شأن يذكر فى الفصلين الأولين من المسرحية . أما الفصول الثلاثة الأخيرة فتشهد تطويرا سريعا عظيما لشخصيته ، بحيث تتجلّى مواهبه الخطابية والسياسية والحربية على أكمل وجه . ذلك أن مقتل قيصر يبرز فى الرجل كل جوانب القوة والعظمة ، وسرعان ما يزول أى انطباع عنه بأنه « مجرد عضو من أعضاء جسد قيصر ، ليس بوسعه أن يفعل أكثر مما سيفعله ذراع قيصر بعد الإطاحة برأس قيصر » كما وصفه بروتس ، أو المعربد اللاهى كما وصفه يوليوس قيصر . وقد كان كاسيوس ـ كالعادة ـ أثقب الجميع نظرة حين وصفه فى الفصل الثانى بأنه سيكون « خصما ماكرا واسع الحيلة ، إن استخدم وسائله وزاد من قوته فسيمتدّ خطره إلينا ويصيبنا منه شرّ » .

لم يحاول فى الرسالة التى بعث بها مع خادمه إلى بروتس أن يخفى حبه واحترامه لقيصر . غير أنه كان يفهم بروتس جيدا ، ويدرك أنه سيقدّر فيه ولاءه لصديقه ،

وأن بوسعه أن يعتمد على كرم خلق بروتس واعتداده بنفسه إن هو أتاه راجيا أن يخطب فى الجماهير راثيا لقيصر . ثم ها هو ينهى حديثه إلى المتآمرين بوعد غامض أن ينضم إلى زمرتهم لو أنهم تمكنوا من إقناعه بعدالة قضيتهم . . قد يتهمه بعضنا بالكذب والتمويه والالتواء . لكنه فى كل هذا لا يختلف عن أعدائه ، وما نراه يفعل أكثر من أن يستخدم نفس وسائلهم للإيقاع بهم . وهو فوق ذلك لديه ما يشفع له ويبرر وسائله ؛ ألا وهو قتلهم لأعز الناس لديه ، فأضحى الثأر له واجبه المقدس .

فأما عن خطبته فى الجماهير فمن أشهر المشاهد فى مسرحيات شكسبير طرا . فهنا دراسة دقيقة فّذة للعبقرية خلال ممارسة صاحبها لها . . لقد أتى ليخطب بإذن كريم من بروتس ، بطل الساعة . . والجمهور المحتشد لسماعه معادٍ لقيصر ، على أتم استعداد للفتك بمن يمجّده أو يسىء إلى قَتَلته . فعليه إذن أن يكون حـذرا للغاية ، حكيما كالحيّات ، إذ يمكن أن يؤدّى أىّ خطأ منه أو هفوة إلى مصرعه هو نفسه . . عليه ألا يناقض قولة بروتس إن قيصر كان طموحا . فليكتف بالحديث عن إنجازاته التى لا يُشْتَمّ منها رائحة الطموح ، تاركا الحكم النهائى لمنطق الغوغاء . وهو إذ يكرّر قولته :

« بيد أن بروتس يقول إنه كان طموحا ، وبروتس رجل نبيل » ،

تتبّدى سخريته أكثر فأكثر ، ويتّضح لأنطونيو أن حديثه قد بدأ يُحدث مفعوله فى الجماهير . . وهنا يتوقّف :

« اصبروا معى ، فقلبى الآن فى التابوت هناك مع قيصر ، وعلىّ أن أسكت حتى يثوب إلىّ » .

وهـــو بتوقّفه هذا إنما يريد أن يعطى الوقت للجمهور حتى يناقشوا الأمر فيما بينهم ، وأن يصلوا إلى قرار بشأن طموح قيصر وما إذا كان المتآمرون قد أساءوا صنعا بقتله ، حتى يمضى بعد ذلك فيقول ما يريد قوله بحرية أوفر . . وهو بالضبط ما حدث . لقد كانت الغوغاء من دقيقتين فحسب تشك فى نياته ، وتعادى قيصر . أما الآن فهى تتعاطف معه ومع قيصر . ومع إدراكه لذلك فهو لا يتعجّل ، وإنما يزعم لهم أنه لا يريد أن يحرّضهم على العصيان والتمّرد على السادة النبلاء الذين قتلوا يوليوس قيصر ، فى الوقت الذى يكون فيه تحريضهم على التمرد هو هدفه الأوحد .

إنه يتريّث حتى يضحى غضبهم عارما كالسيل ، ، والسبيل إلى ذلك هـو التلويح لهم بمصالحهم الشخصية التى تخدمها وصية القتيل . غير أنه يتظاهر بأنه لا يريد تلاوتها عليهم حتى لا يسىء إلى قتلته :

« صبرا أيها الأصدقاء الكرام . ليس من الصواب أن أقرأها ، إذ ليس من المناسب أن تعرفوا قدر الحب الذى كان قيصر يكنّه لكم . فما أنتم من خشب ، ولا أنتم مـن حجارة . وإنما أنتم بشر ، إن سمعتم وصية قيصر هاجت مشاعركم . وجّن جنونكم . فمن الخير إذن أن تبقوا جاهلين بأنه جعلكم ورثة ما يملكه . إذ ما الذى عساه أن يحدث لو أنكم عرفتم ذلك ؟ » (الفصل الثالث ، المشهد الثانى) .

وهو قول ليس من شأنه إلا أن يؤجج رغبة الجمهور فى سماع الوصية ، فيضطر إزاء إلحاحهم إلى تلاوتها وكأنما على مضض :

« تجبروننى إذن على قراءة الوصية ؟ »

ثم يستخدم فى الختام ورقته الأخيرة بأن يُظهر للجماهير عباءة قيصر التى كان يرتديها يوم نصره العظيم على جيوش النّيرفى ، والتى مّزقتها الخناجر ، ثم يُظهر لهم جثة قيصر نفسه التى قطع المتآمرون أوصالها . فما يفرغ من خطبته حتى يكون الشعب فى قبضة يده ، وحتى يكون قدر المتآمرين قد حُسم .

(٣)

هذه المسرحية القوية الأثيرة دوما عند القراء والمشاهدين منذ أول عرض لها عام ١٥٩٩ إلى يومنا هذا بعد مرور أربعة قرون ، قد يأخذ عليها البعض ثلاثة مآخذ :

الأول : ضعف العنصر النسائى فيها . فثمة امرأتان فحسب فيها ، أولاهما ـ وهى كالبورنيا زوجة قيصر ـ لم يأبه شكسبير برسم شخصيتها أو بالتحدث إلا عن منام رأته ومناشدتها لقيصر ألا يمضى إلى الكابيتول يوم منتصف مارس . غير أن المسرحية هى مسرحية رجال فى المقام الأول ، ولم يكن للنساء دور يذكر فى الأحداث التاريخية التى تتناولها .

والثانى : ضعف الفصل الخامس بالمقارنة بالفصول السابقة ، وهو الذى يتعلق بأكمله بمجرى المعركة الفاصلة فى سهول فيليبى ومصائر المتحاربين . وهو عيب كثيرا ما نلمسه فى الفصل الخامس من مسرحيات شكسبير . وقد قيل فى تفسير ذلك أن شكسبير كان لا يبلغ الفصل الختامى من أية مسرحية يكتبها حتى يكون عقله قد شُغل بفكرة المسرحية التالية ، فيتعجّل الفراغ منه حتى يشرع فى كتابة المسرحية الجديدة .

والثالث : ما سبق الإشارة إليه من مصرع قيصر قبل أن تبلغ المسرحية منتصفها . ونلاحظ هنا أن نفس الشىء تقريبا يتكرر فى مسرحية « مكبث » التى يُقتل فيها الملك دنكان فى منتصفها . فشكسبير فى المسرحيتين (شأن دوستويفسكى فى روايته « الجريمة والعقاب ») إنما يعنيه مجرى الجريمة من وقت نشوء فكرتها ، إلى ارتكابها ، إلى عواقبها والثأر لها ، أكثر مما يعنيه أمر المجنى عليه . كما يعنيه ذلك القدَر الذى يدفع إلى ارتكاب الجُرم ، ويستخدم الجانى أداة له ، ثم يحطّمه تحطيما جزاء ارتكابه لفعلته ، فيردّ العدالة إلى نصابها .

وختاما نقول إن مسرحية « يوليوس قيصر » هى من أروع ما خطّه قلم شكسبير . وهى بداية سلسلة أعماله الكبرى التى تشمل « هاملت » ، و« عطيل » . و « الملك لير » ، و « مكبث » ، و « أنطونيو وكليوباترا » ، و « كوريولانوس » و « العاصفة » .

(٤)

بقيت كلمة أخيرة عن بعض مشاكل ترجمة شكسبير :

وأولى هذه المشاكل بطبيعة الحال تتعلق بروعة لغته وشعره التى هى من المقومات الرئيسية لعظمته ، والتى يضيع جّل تأثيرها فى الترجمة . فما من شخص إذن قادر على قراءة مؤلفاته فى أصلها الإنجليزى نُقرّه على انصرافه عن الأصل إلى الترجمة من قبيل الاستسهال .

والثانية : هى فى كثرة استخدام شكسبير للتورية والجناس ، وولعه المفرط بهما . وهو ما لابدّ معه من البحث المضنى عن مقابل لهما فى اللغة التى يُترجم النص إليها ، مع ما يعنيه ذلك من التضحية بالدقة والحرفية من أجل الحفاظ على روح النص وقصد المؤلف . وأبرز مثال على ما نقول فى مسرحية « يوليوس قيصر » تكرر استخدام الإسكافى للتورية والجناس فى حديثه مع فلافيوس ومارولوس فى المشهد الأول من الفصل الأول .

وتتصل المشكلة الثالثة بمهمة الترجمة بوجه عام . لقد كان من دأب الدكتور أ. ف . ريو E.V.Rieu (محرر سلسلة المؤلفات الكلاسكية التى تصدرها دار بنجوين Penguin الإنجليزية للنشر) أن ينصح مترجمى هذه المؤلفات بقوله : " Write English " . ومعنى هذا أنه من المهم جدا فى الترجمة أن يبدو المؤلف وكأنه ألّف كتابه فى الأصل باللغة التى يُترجم إليها . وعلى هذا الأساس ذاته يقوم وصف المستشرق البريطانى سير هاملتون جيب لترجمة مصطفى لطفى المنفلوطى لعدد من روائع الأدب العالمى بأنها مثال يحتذى بفضل رصانة اللغة العربية فيها .

ومترجم شكسبير لابّد أن يتوقف طويلا حتى يقرر ما إذا كان المطلوب هو الترجمة وكأنها كتب شكسبير المسرحية أصلا باللغة العربية ، فيستمتع بها القارىء أو المشاهد العربى استمتاع القارىء أو المشاهد الإنجليزى بالأصل ، أم هو نقل النص إلى العربية فى حرفية صارمة حتى تتوفر لدى دارسى المسرحية (خاصة من طلاب المدارس والجامعات) ترجمة دقيقة لما كتبه شكسبير بالفعل .

ومع ميلى إلى الرأى الأول ، فإنى أرى مع الناشر ومع الدارسين ما يبرر مراعاة الرأى الثانى أيضا . وقد جاءت ترجمتى تشق طريقا وسطا بين الرأيين ، وتحترم قدر الإمكان حُجّتَىْ الطرفين ، حتى لا يكون الالتزام بإحداهما على حساب الأخرى ، معترفا للقارىء بعد هذا كله بحقه فى إصدار الحكم .

حسين أحمد أمين

مصر الجديدة فى ٣ فبراير ١٩٩٤

يوليـوس قيـصر

شخصيات المسرحية

يوليوس قيصر	
أوكتافيوس قيصر ماركوس أنطونيوس إيميليوس ليبيدوس	أعضاء الحكومة الثلاثية عقب مصرع يوليوس قيصر
شيشيرون بوبليوس بوبيليوس لينا	أعضاء فى مجلس الشيوخ
ماركوس بروتس كاسيوس كاسكا تريبونيوس ليجار يوس ديسيوس بروتس ميتيلوس سيمبر سينّا	متآمرون ضدّ يوليوس قيصر
فلافيوس مارولوس	من محاميّ العوام [1]

---

(١) tribunes



أرتيميدورس	
عرّاف	
سينّا	شاعر
شاعر آخر	
لوسيليوس	
تيتينيوس	
ميسّالا	من أصدقاء بروتس وكاسيوس
كاتو الصغير	
فولا منيوس	
فارو	
كليتوس	
كلوديوس	
ستراتو	خدم بروتس
لوسيوس	
داردانيوس	
بينداروس	خادم كاسيوس
كالبورنيا	زوجة قيصر
بورشا	زوجة بروتس

أعضاء فى مجلس الشيوخ ـ مواطنون ـ حّراس

تدور أحداث المسرحية فى روما (الفصول الثلاثة الأولى ، والمشهد الأول من الفصل الرابع) ، ثم فى معسكر قرب ساردیس (المشهدان الثانى والثالث من الفصل الرابع) ، ثم فى سهول خارج فيليبى (الفصل الخامس)

مشاهد المسرحية

الفصل الأول : المشهد الأول : أحد شوارع روما
المشهد الثانى : ميدان عام
المشهد الثالث : شارع بروما

الفصل الثانى : المشهد الأول : بستان دار بروتس
المشهد الثانى : دار قيصر
المشهد الثالث : شارع قرب الكابيتول
المشهد الرابع : أمام دار بروتس

الفصل الثالث : المشهد الأول : أمام الكابيتول
المشهد الثانى : الساحة العامة
المشهد الثالث : شارع بروما

الفصل الرابع : المشهد الأول : منزل فى روما
المشهد الثانى : معسكر قرب سارديس ، أمام خيمة بروتس
المشهد الثالث : خيمة بروتس

الفصل الخامس : المشهد الأول : سهول فيليبى
المشهد الثانى : ميدان القتال
المشهد الثالث : جانب آخر من ميدان القتال
المشهد الرابع : موضع آخر من ميدان القتال
المشهد الخامس : موقع آخر من ميدان القتال

الفصـــــل الأول

المشهد الأول

أحد شوارع روما

(يدخل فلافيوس ومارولوس وبعض العامة)

فلافيوس : تفرّقوا ! إلى بيوتكم أيها الكسالى . . عودوا إلى دياركم ! هل اليوم يوم عطلة ؟ ألا تعلمون أنه من المحظور على أفراد الطبقة العاملة أن يخرجوا فى أيام العمل دون أن يحملوا معهم ما يدلّ على صنعتهم؟ . . تكلم أنت ! ما صناعتك ؟

نجار : نجار يا سيدى

مارولوس : فأين مئزرك الجلدىّ إذن ؟ وأين مسطرتك ؟ وما الداعى إلى ارتدائك اليوم خير ملابسك ؟ هه ؟ . . . وأنت يا هذا ! ما صناعتك ؟

إسكاف : إن أردت الحق يا سيدى ، وإن أنا قورنتُ بغيرى من الصناع المهرة ، فلستُ إلا ما يمكنك أن تسمّيه مشتغلا بالإصلاح .

مارولوس : ولكن ما هى صنعتك ؟ أجبنى دون التواء .

الإسكافى : صنعةٌ آملُ أن أؤدّيها ياسيدى وضميرى مرتاح . هى فى واقع الأمر يا سيدى إصلاح مسيرة الخَلْق .

مارولوس : ما صنعتك يا فاسق ؟ ما صنعتك أيها الفاسق الوقح ؟

الإسكاف : أناشدك يا سيدى ألاّ تخرج عن طورك معى . ومع ذلك فإنك إن خرجت يا سيدى فبوسعى إدخالك وإصلاحك .

مارولوس : ماذا تعنى بقولك هذا ؟ تُصلحنى أيها الوقح ؟

الإسكافى : نعم ، فأنا إسكافٌ [1] فى هذه الأمور .

فلافيوس : أنت إسكافٌ إذن ، أليس كذلك ؟

الإسكافى : هذا حق ياسيدى . فالمثقاب هو وحده ما أرتزق منه ؛ لا أقحم نفسى فى شؤون رجال التجارة ولا فى شؤون النساء ، وإن كنت أثقُب لهم جميعا . فأنا فى واقع الأمر يا سيدى طبيب النعال القديمة ؛ إن أحاق بها خطر عظيم أنقذت حياتها بترميم رمّتها . وما يمشى السادة الأفاضل ذوو الأحذية الجلدية إلا على آثار صناعتى .

فلافيوس : فما السبب إذن فى تغيّبك اليوم عن حانوتك ؟ ولماذا تطوف بهؤلاء الرجال فى الطرقات ؟

الإسكافى : حتى تبلى نعالُهم يا سيدى فيزيد عملى وكسبى ! . . . فإن شئتَ الجدّ لا الهزل ، فإنما أعطينا أنفسنا إجازة حتى نشاهد قيصر ونسعد برؤية موكب نصره .

مارولوس : وأية سعادة فى ذلك ، هه ؟ أىّ فتح ذاك الذى عاد به إلينا ؟ أىّ ملوك وأمراء يتبعون ركبه إلى روما وقد دانوا له بالطاعة ؟ أين أغلال الأسرى التى تربطهم بعجلات عربته فتزيد من مجده ؟ . . أمَا إنكم لأغبياء حقا ! حجارةٌ لا إحساس فيها ، وأسوأ حالا من الجماد الخالى من المشاعر ! آه من قلوبكم الفظّة ومن قسوتكم يا رجال روما ! أما كنتم تعرفون بومبى ؟ كثيرةٌ وعديدة تلك المرات التى كنتم فيها تتسلّقون الأسوار وإلى أسطح الحصون والقلاع والنوافذ . نعم ، بل وإلى أعلى المداخن ، تحملون أطفالكم بين أذرعكم ، وتقضون هناك اليوم بأكمله ، منتظرين فى صبر ، حتى تشاهدوا بومبى العظيم وهو يمرّ فى شوارع روما . وحين كنتم تلمحون عربته قادمة من بعيد ، أما كنتم تصيحون معا مهلّلين ،

---

(١) الإسكاف : الحاذِق . (لسان العرب) .

فيرتعد نهر التّيبر بين شُطآنه المتعّرجة ؟ . . غير أنكم اليوم ترتدون أفضل ثيابكم ، وتقرّرون أن يكون اليوم يوم عطلة ، وتنثرون الأزهار فى طريق ذلك الذى يأتيكم وقد انتصر على أبناء بومبى ! . . انصرفوا وارجعوا عَدْوًا إلى دياركم ، واركعوا سائلين الآلهة أن تجنّبكم شرّ الطواعين التى يستحقها نكرانكم للجميل .

فلافـــــيوس : انصرفوا أيها المواطنون الطيبون . انصرفوا وكفّروا عن خطيئتكم بأن تجمعوا كافة المساكين من طبقتكم ، وتقودوهم إلى ضفاف التّيبر ، لتسكبوا العبرات فى النهر حتى يرتفع الضّحل من مائه فيغمر أعلى شُطئانه طرّا .

(تخرج العامة بأَسْرها)

ألا ترى كيف تأثر معدنهم الخسيس وتحّركت مشاعُرهم ؟ إنهم ينصرفون وقد عقد ألسنتَهم النّدم . . . امض أنت فى ذلك الطريق صوب الكابيتول ، وسأمضى أنا فى هذا السبيل . فإن وجدتَ التماثيل مجلّلة بالشرائط والأوشحة فجردْها منها .

مــــارولــوس : أمن حقنا أن نفعل هذا ؟ أنت تعلم أن اليوم هو عيد الخصوبة .

فلافيــــــوس : لاضير من هذا . . فلا تدع التماثيل وعليها زينة الاحتفال بانتصار قيصر . . سأسير فى المدينة فأطرد الغوغاء من شوارعها . ولتحذُ أنت حذوى حيثما رأيتهم محتشدين . فإن نَحنُ نزعنا هذا الريش النّامى من جناح قيصر ، حُلْنا بينه وبين التحليق فوقنا بعيدا عن أنظار البشر ، وإلا عشنا منه فى رعب كرعب العبيد .

المشهد الثانى

ميدان عام

صوت أبواق - يدخل قيصروأنطونيو (وهو مستعّد للعَدْو) [1] ، وكالبورنيا ، وبورشا ، وديسيوس ، وشيشيرون ، وبروتس ، وكاسيوس ، وكاسكا ، يتبعهم جمع غفير من الناس من بينهم عرّاف .

قيصر : (ينادى) كالبورنيا !

كاسكا : صَهْ ! هذا قيصر يتكلم .

قيصر : كالبورنيا !

كالبورنيا : ها أنا ذا يامولاى .

قيصر : قفى فى طريق أنطونيو متصّدية له حين يبدأ العدو فى الطريق . . . أنطونيو !

أنطونيو : مولاى قيصر !

قيصر : لا تنس فى سرعة عَدْوِكَ يا أنطونيو أن تلمس كالبورنيا . فأجدادنا يقولون إن المرأة العقيم إذا ما لُمست أثناء هذا العَدْو المقدس تزول عنها لعنة العقم .

---

(١) جرت العادة فى روما أثناء الاحتفال بعيد الخصوبة Lupercalia أن يعدو عدد من شباب النبلاء عراة فى الشوارع ، وفى أيديهم مضارب من جلد ، يتظاهرون بضرب كل من يعترض طريقهم . وكان من عادة النسوة الراغبات فى الحمل أن يقفن فى طريقهم ويمددن أيديهن حتى يضربها هؤلاء العدّاءون ، معتقدات أن رغبتهن ستحقق بذلك .

أنطـــونيو : سأتذكر ذلك . فما من أمر يأمر به قيصر إلا نُفِّذ .

قـــيـــصر : فلتبدءوا إذن . ولاتهملوا أياً من الشعائر .

العـــرّاف : قيصر !

قيـــصر : هه ! من ينادى ؟

كاســـكا : لتخمد الأصوات جميعا ، والزموا السكون مرة أخرى .

قيصـــر : من ذا الذى ينادينا من هذا الحشد ؟ أسمع صوتا يعلو على صوت الموسيقى ينادى « قيصر ! » . تكلم ، فقد أدار قيصر أذنه ليسمع .

العـــرّاف : حذارِ من منتصف مارس !

قيـصـــر : أىّ رجل هذا الذى يتكلم ؟

بروتـــس : عرّاف يحذّرك من منتصف مارس .

قيـصـــر : إئتونى به حتى أرى وجهه .

كاسيوس : تقدّم أيها الرجل من بين الجمع وانظر فى وجه قيصر .

قيـــصر : ماذا عساك أن تقول الآن لى ؟ تكلم مرة أخرى .

العـــرّاف : حذار من منتصف مارس !

قيـــصر : إنه حالم ! لنتركه ونمض فى سبيلنا .

(صوت أبواق . يخرج الجميع عدا بروتس وكاسيوس)

كاسيوس : ألن تذهب لمشاهدة العَدْو ؟

بـــروتس : كلا .

كاسيوس : أنا شدك أن تذهب .

بـــروتس : لستُ ممن يهتم بالرياضة ، وأجدنى افتقر إلى جانب من تلك الحيوية التى يتمتع بها أنطونيو . . . ولكن لاتدعنى أعطّلك يا كاسيوس . . سأتركك وشأنك .

كـاسيوس : قد لاحظتُ يا بروتس فى الآونة الأخيرة أن عينيك لم تعودا تظهران لى من

الرقة والحب ما اعتدتُ أن أجدهما فيهما ، وأنك تبدو قاسيا فاترا تجاه صديقك الذى يُعزّك .

بروتـــس : لاتُسئ فهمى يا كاسيوس . فإن كانت عيناى لا تفصحان عما يدور بخاطرى ، فإنها تعكس جهامةً وجهى جهامة ما يجرى بداخلى . . . لقد بدأت تقلقنى منذ مدة مشاعر متباينة ، وأفكار لا تخصّ أحدا سواى ، قد تكون من أسباب توعك سلوكى . ولكنى آمل ألا يبتئس من ذلك أصدقائى الحميمون ـ وأنت فى عدادهم يا كاسيوس ـ وألا يفسّروا إهمالى لهم إلا بأن بروتس المسكين الذى يعانى من صراع مع نفسه قد أغفل إظهار مودّته للآخرين .

كاسيوس : قد أخطأتُ إذن يا بروتس خطأ كبيرا فى تفسير مشاعرك ، فدفعنى خطئى إلى أن أخفى فى صدرى أفكارا ذات شأن خطير ، وخططا لها وزنها . . . ولكن ، خبرّنى يا بروتس ، هل بإمكانك أن ترى وجهك ؟

بروتـــس : لا يا كاسيوس ، فالعين لاترى نفسها إلا إن انعكست صورتها فى شىء آخر .

كاسيوس : هذا حق . وإنه لمن المؤسف للغاية يا بروتس أن أجدك تفتقر إلى المرايا التى بوسعها أن تبدى لعينك مزاياك الخافية ، فترى صورتك فيها . . . لقد سمعتُ الكثيرين مـن صفوة القوم فى روما ـ عدا قيصر زعيمنا الخالد ! ـ وهم يتحدثون عن بروتس ، يئنّون من رزحهم تحت وطأة طغيان العصر ، ويتمنّون لو أن بروتس النبيل يرى ما يرون .

بروتـــس : أية أخطار تلك التى تدعونى إلى خوضها يا كاسيوس ، إذ تطالبنى بأن أبحث فى طويّتى عن أشياء هى خالية منها ؟ .

كاسيوس : فلتعدّ نفسك إذن لسماع السبب يا بروتس . وإذ أنت تدرك أنه ليس بوسعك أن ترى نفسك جيدا إلا فى مرآة ، فلأكن أنا مرآتك التى ستبيّن لك دون تهويل أو مبالغة جانبا من نفسك لم تعرفه أنت نفسك بعد . . ولاتشكّنّ فى بواعثى أى بروتس الطيب ، مالم تكن ترانى امرءًا هُزَأَة ، أدع الصدأ يكلّل مودّتى بأن أقطع على نفسى عهد الصداقة كل يوم لكل

صديق جديد يُظهر لى ودّا ، وما لم تكن تحسبنى أتزلّف إلى الناس ، وأضمّهم بقوة إلى صدرى عند اللقاء ، ثم أسبّهم وراء ظهورهم ، ومالم تكن ترانى أفصح للكافة عن مكنون صدرى فى المآدب . . حينئذ فقط يضحى من حقك أن ترى فىّ إنسانا خطرا .

(صوت أبواق وهتاف)

بروتـــس : ما معنى هذا الهتاف ؟ أخشى أن يكون الناس على وشك أن يختاروا قيصر ملكا عليهم .

كاسيوس : أتخشى حدوث ذلك ؟ إذن فأنا محق فى ظنى أنك كاره لما تخشاه .

بروتـــس : أنا كاره لذلك يا كاسيوس ، وإن كنت أُكنّ للرجل مودّة صادقة . . ولكن ، لماذا تستبقينى هنا معك كل هذا الوقت ؟ ما الذى تسعى إلى الإيحاء به إلىّ ؟ لو أنه أمر يخدم الصالح العام ، فلتثق فى أنك لو وضعت الشرف نصب عين لى ، والموت نصب العين الأخرى ، لنظرتُ هادئا إليهما معا دون تفرقة بينهما . ولتكن مكافأة الآلهة لى بقدر حبى للشرف الذى يفوق فى جسامته خوفى من الموت .

كاسيوس : أعرف فيك هذا النبل يا بروتس معرفتى بشكلك وصورتك . حسنا . . إن الشرف هو موضوع حديثى الآن . . لا أدرى كيف تنظر أنت أو غيرك إلى هذه الحياة . فأما عنى شخصيا فإنى أفضّل الموت لتوّى على أن أعيش فى خوف من مخلوق لا يزيد حجمه عن حجمى . . لقد وُلدتُ حرّا كقيصر ، وكذلك أنت . وكان غذاؤنا طيبا كغذائه . وبوسع كلينا أن نتحمل برد الشتاء كما يتحمّله . . . لقد حـــدث مرة فى يوم بارد عاصف ، تلـطم فيه أمواج نهر التِّيبر الصاخبة شُطئانه ، أن قال قيصر لى : « إنى أتحدّاك الآن يا كاسيوس أن تُلقى بنفسك معى فى خضم هذا الفيضان الغاضب ، فنسبح حتى ذلك الموقع هناك » . فما كان منى إلا أن ألقيت بنفسى للتّو واللحظة وأنا بملبسى الذى كان علىّ ، سائلا إيّاه أن يحذو حذوى . . ولقد فعل . . كان التيار صاخبا . وقد قاومناه بعضلاتنا القويـــة نشقّ طريقنا فيه ، ونتحدّاه فى شجاعة معارضين

إيــاه . . غير أننا قبل أن نصل إلى الموقع المقتـرح ، إذا بقيـــصر يصرخ : « أغثنى يا كاسيوس وإلا غرقت ! » . . نعم ! وكما انبرى سلفنا العظيم إينياس لينقذ أباه الهرم أنشيس من لهيب طروادة وهى تحترق ، فحمله على كتفه فرارا به ، كذلك فقد حملت قيصر المنهك لأنقذه من أمواج التَّيبر . . . وقد أضحى هذا الرجل الآن إلها ! وأما كاسيوس فمخلوق حقير ، عليه أن يحنى قامته إن حيّاه قيصر فى استخفاف بإيماءة بسيطة من رأسه . . . لقد أصابته الحمى مرة حين كان فى أسبانيا ، فلما اشتدت عليه وطأتها رأيتـه بعينى وهـو يرتعش . . . نعم ! هـذا الإلـه رأيتـه يرتعد ، فى حـين فرّ من شفتيـه الجبانتين لونُهما ، أما عيناه فقد فقدتا بريقهما ، وهما نفس العينين اللتين تخيفان العالم الآن . . . وسمعتُه وهو يتأوّه . . أجل ! وما كان من لسانه الذى طالب الرومان يوما بالإنصات إليه حتى يسجّلوا خطبه فى كتبهم، إلا أن ولول قائـلا : « وأسفـاه ! أعطنى شرابا يا تيتينيوس » . تماما كما تتكلم أية فتاة عليلة ! يا إلهى ! إنى لأعجب كيف أمكن لرجل ضعيف مثله أن يرقى إلى هذه المكانة الشامخة فى عالمنا الرائع ، وأن يستحوذ لنفسه على الثمرة .

(صوت صياح وأبواق)

بروتـس : هتاف آخر من الجموع ؟ ما أحسب الداعى إلى هذه الهتافات إلا ما يغدقونه على قيصر من آيات التكريم .

كاسيوس : تنبّه أيها الرجل . . إنه يخطو الآن بقدميه فى عالمنا الضيق فى مشية كمشية العملاق الضـخم . وأمـا نحن التافهون فنسير فى ظـل ساقيه العظيمتين ، ونتلفّت حولنا باحثين لأنفسنا عن مقابر ندفن فيها خزينا وعارنا . . . غير أن الإنسان بوسعه أحيانا أن يكون سيد قدره . فالمسئولية يا عزيزى بروتس عن مذلّتنا ليست مسئولية الأبراج التى ولدنا فيها ، وإنما نحن المسئولون عنها. . .«بروتس» و«قيصر » : ما الذى ينطوى عليــه اسـم « قيصر » ؟ لماذا يتردّد هذا الاسم أكثر مما يتردد على الألسنة اسمُك ؟ اكتبهما معا ، وسترى اسمــك فى بهاء اسمه . تفَوه

بهما ، وسنرى وَقْع اسمك فى حُسن وقع اسمه . زنهما فى الميزان ، وسنرى ثِقَل اسمك كثقل اسمه . ليستخدمْهما السحرة فى استحضار الأرواح ، وسنرى اسم « بروتس » يستحضر الـروح فى مثل سرعة استحضار اسـم « قيصر » لها . . . فبحق الألهـة جميعا دفعةً واحدة ، أىّ غذاء ذلك الذى تغذّى عليه قيصرنا هذا حتى غدا على هذه الدرجة من الضخامة ؟ . . قد وُصم زماننا بالعار ، وفقدت ياروما القدرة على إنجاب النبلاء ! إذ متى كان ثمة عصر فيها منذ زمن الطوفان العظيم إلاّ ضمن ذيوعَ صيته أكثر من رجل واحد ؟ ومتى كان بوسع المتحدثين عن روما ـ إلا اليوم ـ أن يقولوا إن أسوارها المتناهية لا تحوى غير رجل واحد ؟ إنها لا تزال تحمل اسمها المجيد ، غـير أن مساحتها لم تعد تكفى لغير رجل فرد . . . لقد سمعتَ أنت ، وسمعتُ أنا ، آباءنا يقولون إنه كان ثمة فى ماضينا رجل يدعى بروتس [1] ، ما كـان ليتحمل أن يهيمن ملكٌ على روما أكثر من احتمال أن يهيمن عليها الشيطان الأزلى .

بروتـس : فأما عن مودّتك لى فإنى واثق منها . وأما ما تحاول إقناعى به فلدىّ فكرة عنه . وسأذكر لك فيما بعد رأيى فى هذا وفى الزمن الذى نعيش فيه . أما الآن ، فإنى أستحلفك بحق صداقتنا ألا تحاول المزيد من تحريضى . . سأفكر فيما قلته لى . وسأنصت فى صبر إلى مالم تقله لى بعد ، مهيئا الفرصة المناسبة للاستماع إلى هذه الأمور الهامة والردّ عليك . فحتى ذلك الحين ، أيها الصديق النبيل ، عليك أن تذكر أن بروتس يفضّل أن يكون فلاحا فى قرية من القرى على أن يُحْسب من أهل روما فى ظل هذه الظروف الصعبة التى فرض زماننا علينا أن نعيش فيها .

---

(١) لوسيوس بروتس الذى تزعّم حركة طرد آخر ملوك روما (تاركوين) وأصبح أول قنصل فيها . ويذكر بلوتارك أن ماركوس بروتس كان يقول إنه من نسل بروتس هذا .

كاسيوس : إننى سعيد إذ أرى كلماتى الواهنة قد أوقدت فى بروتس مثل هذه الشعلة .

بروتــس : قد انتهت الألعاب . وها هو قيصر يعود .

كاسيوس : أمسك بذراع كاسكا أثناء مرورهم ، وسيخبِرك بأسلوبه المرير المألوف بما حدث اليوم من جلائل الأمور.

(يدخل قيصر وجمهور تابعيه)

بروتــس : سأفعـل ذلك . . ولكن ، انظر يا كاسيوس إلى هذه البقعة الحمراء تتوهّج على جبين قيصر الغاضب ، وكيف يبدو كافة تابعيه فى ندم وانكسار . . كالبورنيا شاحبة الوجه ، فى حين يبدو شيشيرون كابن عِرْس ، ناريّ اللحظ كما عهدناه فى الكابيتول ، عند معارضة الشيوخ له أثناء المداولات .

كاسيوس : سينبئنا كاسكا بما حدث .

قيــــصر : أنطونيو !

أنطونــيو : مولاى .

قيــــصر : حبّذا لو أنى لم أتّخذ فى بطانتى غير الرجال السّمان . رجال ناعمو البال ينامون الليل . أما كاسيوس هذا الواقف هناك ، فنحيل عليه مسحة الجوعى ، ويفكر أكثر مما ينبغى . . الرجال من أمثاله رجال خطرون .

أنطونيــو : لا تخشه يا قيصر ، فهو ليس بالرجل الخطر ، وإنما هو رومانى نبيل كريم الخلق .

قيــــصر : حبّذا لو كان أسمن بدنا ! غير أنى لا أخشاه . ومع ذلك فلو كان بالإمكان أن أستشعر الخوف ، لما كان ثمة من هو من واجبى أن أتجنّبه للتّو غير هذا النحيل كاسيوس . إنـــه كثير القراءة ، يلاحظ كل ما يدور ، عظيم الفراسة فى إدراكه للبواعث وراء تصرفات الناس . . إنه لا يحب المسرح حبَّك إياه يا أنطونيو . ولا يستمع إلى الموسيقى . نادرا ما يبتسم . فإن ابتسم فكأنما يسخر من نفسه محتقرا إيّاها إذ يدفعها أمر من

الأمور إلى الابتسام . أمثاله لا يمكن أن يستشعروا الراحة وهم يرون رجلا أعظم منهم . ولذا فهم خطرون جدا . . إننى إنما أحدّثك عمن ينبغى على الناس أن يخشوه ، لاعما أخشاه أنا . فأنا دائما قيصر . . ولكن ، تحوّل إلى يمينى فأذنى اليسرى صمّاء لا تسـمع ، وخبّرنى صراحة عن رأيك فيه .

(صوت بوق - يخرج قيصر وكافة تابعيه عدا كاسكا)

كاسـكا : أجذبتنى من عباءتى لرغبتك فى التحدث معى ؟

بروتـس : نعم يا كاسكا . خبّرنا بما حدث اليوم فأحزن قيصر إلى هذا الحد .

كاسـكا : ألم تكن معه إذن ؟

بروتـس : ما كنتُ لأسألك عما حدث لو أنى كنت معه .

كاسـكا : عرضوا عليه تاجا . غير أنه ردّ التاج هكذا بظاهر يده ، فشرع الناس يهتفون .

بروتـس : وماذا عن الهتاف الثانى ؟

كاسـكا : لنفس السبب .

كاسيوس : قد هتفوا ثلاث مرات . فماذا عن الهتاف الأخير ؟

كاسـكا : للسبب عينه .

بروتـس : أعُرِض التاج عليه ثلاث مرات ؟

كاسـكا : عُرض عليه ثلاث مرات وردّه ثلاث مرات . وكان ردّه إيّاه فى كل مرة أضعف من المرة السابقة . وفى كل مرة ردّه فيها كان الطيبّون المحيطون بى يرفعون عقيرتهم بالهتاف .

كاسيوس : من الذى عرض التاج عليه ؟

كاسـكا : أنطونيو بطبيعة الحال .

بروتـس : أحطْنا بالتفاصيل أى كاسكا العزيز .

كاســكا : الشّنق عندى أيسر من ذكر التفاصيل . . كان الأمر تهريجا محضا ، ولم ألق بالا إليه . . رأيت ماركوس أنطونيو يعرض عليه تاجا . لكنه لم يكن بتاج ، وإنما كان إكليلا صغيرا . غير أنه ردّه كما سبق أن ذكرت . وفى ظنى رغم هذا أنه كان يودّ قبوله . ثم عرضه عليه أنطونيو مرة أخرى ، فردّه مرة أخرى . غير أنه فى ظنى كان آسفا أشدّ الأسف إذ يضطر إلى رفع أصابعه عنه . ثم عرضه عليه مرة ثالثة ، فردّه مرة ثالثة . ولما ردّه هتفت الغوغاء وصفّقت بأيديها الخشنة ، ورمى الناس فى الهواء بقلانسهم الناضحة بالعرق ، وصدرت عنهم زفرات كثيرة كريهة الرائحة لمجرد أن قيصر قد رفض التاج ، حتى كادت زفراتهم أن تخنق قيصر . فقد غُشى عليه ووسقط على الأرض من وطأتها . . وأما عنى فلم أجرؤ على الضحك خشية أن أضطر إلى فتح فمى فأستقبل فيه الهواء الفاسد .

كاسيوس : مهلا ، أرجوك ! هل غُشى على قيصر حقا ؟

كاســكا : سقط على الأرض فى ساحة السوق ، وخرج الزَّبَد من فمه ، وفقد القدرة على النطق .

بروتــس : هذا جائز ، فهو مصاب بالصرع .

كاسيوس : ليس قيصر المصاب بالصرع ، وإنما هو أنت ، وأنا ، وكاسكا الأمين . المصابون بالغَشْية .

كاســكا : لا أدرى ما تعنيه بقولك هذا . غير أنى واثق من أن قيصر قد سقط على الأرض . وصدّقانى حين أقول لكما إن السوقة كانت تصفق له إعجابا . أو تصفر له استهزاء ، كلما راقها أو أسخطها أداؤه ، تماما كما تعامل الممثلين فى المسرح .

بروتــس : فماذا قال حين أفاق إلى وعيه ؟

كاســكا : قبل أن يسقط ، وحين لاحــظ أن قطعان الناس سعيدة برفضه قبول التاج ، رأيته يكشف عن صدره ، ويعرض عليهم أن يقطعوا رقبته . فلو أنى كنت رجلا من الطبقة العاملة ولم أبادر بقطع رقبته ، لوددتُ

أنى قد حُشرتُ فى جهنم فى زُمرة المجرمين . . قد هـــوى إذن على الأرض . وحين أفاق طلب من حضرات المحترمين أن يغفروا له إن كان قد أساء التصرف أو القول ، وأن ينسبوا هذه الإساءة إلى مرضه . وقد لمحتُ بجانبى ثلاث أو أربع فتيات يبكين ويصحن : « واأسفًا أيها المسكين العزيز ! » ، وغفرن له من صميم قلوبهن . غير أنهن مجرد فتيات لا يؤبه لهن . ولو أن قيصر صرع أمهاتهن لما فعلن غير ما فعلن .

بروتـــس : ثم انصرف عنهم بعد ذلك حزينا كاسف البال ؟

كاســكا : نعم

كاسيوس : هل نطق شيشيرون بشىء ؟

كاســكا : نعم . تحدّث باليونانية .

كاسيوس : فماذا قال ؟

كاســكا : أكون كاذبا لو أنى نقلت إليك ما قال . غير أن أولئك الذين فهموا قوله تبادلوا الابتسام وهزّوا رءوسهم . وأما عنى فلم أفهم حرفا من يونانيته . . بوسعى أن أخبركما المزيد أيضا . فقد طُرد مارولوس وفلافيوس من منصبيهما لنزعهما الأوشحة المعلقة على تماثيل قيصر . . والآن أترككما . . كان باستطاعــتى أن أخبركما بسخافات أخرى وقعت لولا أنى قد نسيتها .

كاسيوس : تناول معى العشاء الليلة يا كاسكا .

كاســكا : لا ، فلدىّ ارتباط آخر .

كاسيوس : فلتتعّش معى غدا إذن

كاســكا : نعم ، شريطة أن أعيش إلى الغد ، وألا تغّير رأيك ، وأن يكون طعامك أهلا لأن يؤكل .

كاسيوس : حسنا ! سأنتظرك إذن .

كاســكا : انتظرنى . . والآن أترككما (يخرج)

بروتـــس : قد غدا كاسكا غبيا مُذْ شبّ ونما ، بعد أن كان حادّ الذكاء فى أيام الدراسة .

كاسيّوس : لا يزال إلى اليــوم ذكيا حيــن يتعلّق الأمر بتنفيذ أىّ مشروع جرىء أو نبيل ، مهما أخفى ذكاءه تحت هذا الستار من التغابى . وماوقاحته التى نلمسها إلا بمثابة الصلصة يضيفها إلى حديثه الذكى ، فتسّهل على الناس استساغة كلماته ، وابتلاعها بشهية أكبر .

بروتـــس : هو ذاك . . غير أنى أتركك الآن . فإن شئت التحدث معى غدا أتيتُ إلى دارك . وإن شئت المجىء إلى دارى فسأكون فى انتظارك .

كاسيوس : سأفعل ذلك . فحتى نلتقى ، فكّر فى مجريات الأمور .

(يخرج بروتس)

إنك امرؤ نبيل يا بروتس . . غير أنى ألاحظ أن معدنك النقّى قد يؤثّر فيه ما يغيرّ خواصّه . . لذلك فإنه من مصلحة الشخصيات النبيلة ألا تخالط إلا من هم على شاكلتها . إذ من ذا الذى هو من الصلابة بحيث لا يمكن إفساده ؟ . . إن قيصر يكرهنى . غير أنه يحب بروتس . ولو كنتُ مكان بروتس وكان بروتس مكانى لما تمكّن من إقناعى . . سأكتب الليلة أوراقا بخطوط متباينة ، وأدسّها فى نوافذ داره ، وكأنها هى مرسلة إليه من عّدة مواطّنين ، كلها تتحدث عن التوقير البالغ الذى تكنّه روما لاسمه ، وتلمّح من بعيد إلى طموحات قيصر . وليحاول قيصر بعد ذلك أن يستشعر الأمان ؛ فإمــا أن نسحقه ، أو نواجه زمنا هو أبشـع مما كان .

(يخرج)

المشهد الثالث

شـــــارع

رعد وبرق . يدخل كاسكا من ناحية وهو شاهر سيفه
وشيشيرون من الناحية المقابلة .

شيشيرون : مساء الخير يا كاسكا . هل صحبت قيصَر إلى داره ؟ مالى أراك تلهث وتحملق فيما حولك هكذا ؟

كاســكا : ألا تؤثر فيك أنت رؤية اصطخاب حركة الأرض ، وكأنما هى شىء هلامىّ لاتماسك فيه ؟ آه يا شيشيرون ! لقد رأيت فى حياتى عواصف قصمت رياحُها العاتية أشجار البلّوط ذات العُجْرات ، ورأيتُ البحر المتشامخ يفيض ويهدر ويزبد حتى يطاول السحب المكفهرة . غير أنى لم أر حتى هذه الليلة ، حتى هــذه الساعة ، عاصفة كهذه ترمينا بالنيران . فإما أن تكون ثمة حرب أهلية فى السماء ، أو تكون وقاحة أهل هذه الدنيا قد أغضبت الآلهة ، فدفعتها إلى إحداث هذا الدمار فيها .

شيشيرون : لعلك قد رأيت أشياء أغرب من مجرد هذه العاصفة ؟

كاســكا : شاهدتُ عبدا تعرفه أنت جيدا ، يرفع يده اليسرى وقد انبعث منها اللهيب واشتعلت كعشرين شعلة فى حزمة واحدة ، دون أن تشعر يده بالنار ودون أن تحترق . . كذلك صادفتُ عند الكابيتول (ومن وقتها وأنا شاهرٌ سيفى) أسدًا ظل يحملق فىّ بعض الوقت ، ثم مضى فى طريقه حانقا ولكن دون أن يتعرّض لى بالأذى . . ورأيت حشدا من مائة

امرأة كالأشباح ، بشعات الصورة ، قد غيّر الخوف من سحناتهن ، أقسمن أنهن قد شاهدن رجالا غلّفتهم النار يذرعون الطرقات جيئة وذهابا . . وأبصرتُ فى ساحة السوق ظهر أمس بومة من البوم التى لا تنشط إلا ليلا ، وهى تصيح وتصرخ . . . فإن تزامن حدوث كل هذه الأعاجيب لم يعد ثمة معنى لقول البعض : « هى أمور طبيعية لها مسببّاتها » . ففى ظنى أنها تنذر بوقوع أحداث شنيعة فى البلد الذى شهدها .

شيشيرون : أوافقك على أن زمننا غريب يمكن أن يشهد أحداثا غريبة . غير أن بوسع أى امرىء أن يفسر مثل هذه الأمور على هواه ، بغّض النظر عن المعنى الحقيقى لها . . . ولكن ، هل سيأتى قيصر غدا إلى الكابيتول ؟

كاسكا : نعم . فقد طلب من أنطونيو أن يخطرك بأنه سيكون غدا هناك .

شيشيرون : طابت ليلتك إذن يا كاسكا . فما ينبغى لنا أن نسير فى ظل مثل هذه السماء المكفهرة .

كاسكا : إلى اللقاء يا شيشيرون (يخرج شيشيرون)

(يدخل كاسيوس)

كاسيوس : من هناك ؟

كاسكا : رجل من روما .

كاسيوس : صوتك صوت كاسكا .

كاسكا : لم تضلّلك أذناك . . أية ليلة هذه يا كاسيوس !

كاسيوس : ليلة يسعد بها الرجال الشرفاء .

كاسكا : من ذاك الذى شهد السماء وهى تنذر بالشر على هذا النحو ؟

كاسيوس : أولئك الذين شهدوا الأرض وقد غاصت فى الخطايا . فأما عنى فقد جُلْتُ فى الشوارع معرضا نفسى لأخطار الليل . وكما ترانى يا كاسكا فقد كشفت عباءتى عن صدرى حتى يستقبل الصاعقة ، وكلما بدا البرق

الأزرق الغاضب على وشك أن يشق صدر السماء ، تحوّلت صوبه حتى أكون هدفا لوميضه وصاعقته .

كاســكا : ولكن ما الذى دفعك إلى إغراء السماء بك على هذا النحو ؟ فمن شأن الخلق أن يرتعدوا ويصيبهم الخوف حين ترسل الآلهة ـ تعالت قدرتها ـ علائم تنذر بفظائع الأمور فتدهشنا .

كاسيوس : إنك غبى يا كاسكا ، وأراك تفتقر إلى وهج الحياة الذى ينبغى أن يميز أبناء روما ، أو هو فيك ولكنك لا تستخدمه . . إنك شاحب اللون جاحظ العينين ، تبدو خائفا مُسلما قيادك للدهشة إذ ترى المظاهر الغريبة لنفاد صبر السماء . غير أنك إن نقّبت عن السبب الحقيقى لكل هذه النيران ، ولكل هذه الأشباح الهائمة ، ولنبوءات الشيوخ والبلهاء والأطفال ، ولانحراف كل هذه الأشياء عن مسارها فتتغيّر طبائعها وقوانينها الثابتة إلى ما هو شاذّ بشع ، فستجد أن السماء قد بثّت هذه الروح فيها حتى تصبح أداة لإثارة الخوف ، ولتحذير القوم من حدث رهيب هو لامحالة واقع . بوسعى أن أذكرلك يا كاسكا اسم رجل شديد الشبه بهذه الليلة النكراء التى تشهد الرعد والبرق ، وتشقّ القبور ، وتزأر زئير الأسد عند الكابيتول . . هو رجل ليس بأقوى منك أو منّى حين يتصّرف تصّرف الإنسان الطبيعى . غير أنه تغيّر ونمت قوّته نموا غريبا مخيفا ينذر بفظائع الأمور كما تنذر هذه الأحداث الغريبة الخارقة .

كاســـكا : إنما تعنى قيصر . أليس كذلك يا كاسيوس ؟

كاسيوس : ليكن أىّ امرىء شئت . . قد يكون للرومان اليوم نفس العضلات والأعضاء التى كانت لأسلافهم . غير أنهم ـ واأسفاه ! ـ قد فقدوا عزائم آبائهم ، وباتت صفات أمهاتنا وحدها تتحكّم فينا . وما استسلامنا الذليل لنير الطغيان غير دليل واضح على طبعنا النسوىّ .

كاسـكا : هذا حق . فهم يقولون إن مجلس الشيوخ ينوى غدا أن ينصب قيصر ملكا علينا ، فيلبس تاجَه فى البحر واليابس فى كل مكان عدا هنا فى إيطاليا .

كاسيوس : عرفتُ إذن أين سأُغمد خنجرى ، وسيتولى كاسيوس تحرير كاسيوس من ربقة العبودية . فبالقدرة على الانتحار جعلت الآلهةُ الضعفاءَ أقوياء حقا ، وبالقدرة على الانتحار دحرتكم الآلهة يامعشر الطغاة . فما من برج حجرى ، ولا جدران من معدن مطروق ، ولا سجن تحت الأرض لا ينفذ الهواء إليه ، ولا الأصفاد الحديدية القوية ، بوسعها أن تبقّى الروح القوية حبيسة فيها . فالحياة إن هى تعبت من كل هذه القيود الدنيوية ، بمقدورها دائما أن تُنهى نفسها . . فإن كنتُ أعلم هذا فلتعلمه الدنيا بأسرها أيضا : أنه بإمكانى متى شئتُ أن أخلّص نفسى من الطغيان الذى أعانيه .

(مزيد من هزيم الرعد)

كاسـكا : وكـذلك أنا . وكـذا كـل عبد من العبيد ، فى يده أن يُنهى عبوديته متى شاء .

كاسيوس : فلماذا إذن يضحى قيصر طاغية مستبّدا ؟ المسكين ! أنا أعلم أنه ما كان ليصبح ذئبا إلا لأنه قد رأى الرومان قد أضحوا نعاجا . ولا هـو أسد إلا لأن الرومان غزلان جبانة . ومن شاء أن يوقد نارا عظيمة فى أقصر وقت ، بدأها بعيدان واهية من القش . قد أضحت روما قمامة ، نُفايات وسقط متاع ، حين سمحت لنفسها أن تصبح وقودا زريّا لتضىء شيئا زريا كقيصر ! ولكن ، إلام تدفعنى أيها الأسى ؟ فلربما كنتُ ألقى بحديثى هذا فى سمْع عبد راض بوضعه ، فأضطر إلى أن أدفع ثمنا لهذا الحديث وألقى جزاءه . . بيد أن الشرف سـلاحى ، فلا آبه للأخطار التى تحدق بى .

كاسـكا : إنها تتحدث إلى كاسكا ، وهو ليس بالرجل المتقلّب الذى يشى بأصدقائه . . كفاك إذن ، وهاك يدى فصافحها . واعلم أنك إن دبّرت مؤمراة للقضاء على كل ما نعانيه من مظالم ، فسأشارك فيها مشاركة أشد المتعاطفين معها .

كاسيوس : قد اتفقنا إذن . . فلتعلم يا كاسكا أننى قد أقنعتُ بالفعل عددا من أنبل الشخصيات فى روما بالانضمام إلىّ فى خطّةٍ ذات عواقب كريمة خطرة . وأعلم أنهم الآن فى انتظارى عند مدخل مسرح بومبى . ففى مثل هذه الليلة النكراء ، ما من حركة وما من أحد يسير فى الطرقات . وصحن خَدّ السماء فى حمرة وجه المحموم ، شبيه بالخطة التى انتوينا تنفيذها : دموية ، ونارية ، ورهيبة للغاية .

(يدخل سينّا)

كاسـكا : صَهْ ! هذا رجل يأتى مسرعا قبالتنا .

كاسيوس : إنه سينّا . أعرفه من مشيته . وهو صديق لنا . . إلى أين تمضى مسرعا هكذا يا سينّا ؟

سـينّا : أبحث عنك . . . من هذا معك ؟ ميتيلوس سيمبر ؟

كاسيوس : لا . إنه كاسكا . وقد انضّم إلينا فيما ننوى تدبيره . . هل ينتظرنى القومُ يا سينّا ؟

سـينّا : إننى سعيد بانضمام كاسكا . . ما أفظعها من ليلة ! لقد رأى اثنان أو ثلاثة منا مشاهد غريبة حقا .

كاسيوس : خبّرنى ، هل ينتظرنى القوم ؟

سـينّا : هم فى انتظارك نعم . . آه لو تمكّنت يا كاسيوس من أن تضم بروتس إلى جماعتنا !

كاسيوس : لا تقلق . . خذ هذه الورقة يا عزيزى سينّا ، واحرص على أن تضعها على كرسى القاضى حيث لن يجدها غير بروتس . . ولتلق بهذه الورقة

من نافـــذة داره . والصق هذه بالشمع على تمثال سلفه لوسيوس بروتس . ثم توجّه بعد هذا كله إلى مدخل مسرح بومبى حيث ستجدنا فى انتظارك . . هـل من بين المنتظرين هناك ديسيوس بروتس وتريبونيوس ؟

ســـينّا : كلهم عدا ميتيلوس سيمبـر الذى مضى إلى منزلك يبحث عنك . . حسنا . سأسرع الآن فأضع هذه الأوراق حيث طلبت منى أن أضعها .

كاسيوس : فإن فرغتَ فتوجه إلى مسرح بومبى .

(يخرج سينّا)

تعال معى الآن يا كاسكا . فلا يزال علينا قبل مطلع الفجر أن نزور بروتس فى داره . . ثلاثة أرباع روحه هى فى أيدينا بالفعل . وسيكون الرجل كله فى حوزتنا عند لقائنا القادم .

كاســكا : قلوب الناس جميعا توقّره وتبجّله . وما يستنكره الناس من فعالنا سيحّوله بسحره متى انضم إلينا إلى فعال فاضلة نبيلة .

كاسيوس : قد أحسنتَ وصفه وبيان قدره وشدّة حاجتنا إليه . . لنمضى إذن ، فقد جاوزنا منتصف الليل . وسنوقظه قبل الفجر ونتيقن من مناصرته لنا .

الفصـــل الثانى

الفصل الثانى

المشهد الأول
روما ـ بستان دار بروتس

(يدخل بروتس)

بروتـس : (ينادى) لوسيوس ! لوسيوس ! . . . ليس بوسعى أن أخمنّ من مسار النجوم مدى اقتراب الساعة من مطلع الشمس . (ينادى) لوسيوس ! . . . حبّذا لو كان من عيوبى مثل هذا النوم العميق ! متى يا لوسيوس ، متى ؟ ألن تفيق من نومك ؟ لوسيوس !

(يدخل لوسيوس)

لوسيوس : هل ناديتنى يا مولاى ؟

بروتـس : ضع شمعة فى حجرة مكتبى . وبعد أن تشعلها تعال فنادنى هنا .

لوسيوس : سأفعل يا سيدى . (يخرج)

بروتـس : لا بدّ من موته إذن من أجل إنجاح القصد . . فأما عنى فما من باعث شخصى يدفعنى إلى إسقاطه ، وإنما هو الصالح العام . . إنه يودّ لو نصبوه ملكا . والسؤال هو : إلى أىّ حدّ يمكن أن يؤدّى تتويجه إلى تغيير طبيعته ؟ . . إن ضوء الشمس هو الذى يُخرج الأفعى من جُحرها ، وهو ما يُلزم الناس بالسير فى حذر . فإن نحن توّجناه ملكا علينا أضفنا إليه أنيابا بوسعه متى شاء أن ينهشنا بها . . وإنما يكمن خطر السلطة المطلقة فى احتمال أن تقيم حاجزا بينها وبين الطيبة والشفقة وتأنيب

الضمير . . فإن شئنا أن نقول الصدق فى وصفنا لقيصر قلْت إنى ما رأيته أبدا يتصرف إلا وفق ما يمليه عليـــه عقلـه دون مشاعره وأحاسيسه . . غير أننا كثيرا ما نلاحظ أن التواضع هو سُلَّم الشاب إلى طموحاته ؛ يدير إليه وجهه أثناء تسلّقه . حتى إذا ما وصـــل إلى قمته أدار ظهره إلى السُّلَّم ، وتطلّع بعينيه إلى السحاب ، محتقرا الدرجات الدنيا التى استخدمها فى صعوده . . وهو ما قد يحدث لقيصر . إذن فلنمنعه من ذلك خشية أن يفعله . وحيث أن خصومتنا ليس لها حتى الآن مبرر من تصرفاته ، فلتكن حجتنا كما يلى : أنه لو تمادى فى اتجاهــه الراهـــن ، لا نتهى به الحال إلى إساءة استخدام السلطة ، وإلى مثل هذا الشطط . . فلنعتبره إذن بمثابة بيضة الأفـــعى : متى أفرخت خرج منها ثعبان خبيث كغيره من الثعابين ، فيكون من المصلحة إذن سحقه فى بيضته قبل أن يظهر .

(يدخل لوسيوس)

لوسيوس : الشمعة موقدة فى حجرة مكتبك يا مولاى . غير أنى إذ كنت أبحث عند النافذة عن حجر قدّاحة لأشعلها عثرت على هذه الورقة ، مختومة على هذا النحو . وإنى لواثق مـــن أنها لم تكـن هناك وقت أن آويتُ إلى فراشى . (يناوله الخطاب) .

بروتـس : عد إلى فراشك ، فالنهار لم يبزغ نوره بعد . . أليس الغد هو منتصف مارس يا غلام ؟

لوسيوس : لا أدرى يا سيدى .

بروتـــس : راجع التقويم ثم خبّرنى .

لوسيوس : سأفعل يا مولاى (يخرج)

بروتـــس : ضوء الشهب فى الفضاء كاف لأن أقرأ عليه .

(يفتح الخطاب ويقرأ فيه)

« بروتس ! إنك إنما تغط فى نومك .

أفق وتأمّل نفسك .

أمن المقّدر أن تكون روما . . . إلى آخره

تكلّم ، واضرب ، واثأر .

بروتس ! إنك تغطّ فى نومك . . أفِق ! » .

كثيرا ما أُلقيت مثُل هذه التحريضات فى المواضع التى التقطتهُا منها .

« أمن المقّدر أن تكون روما . . . إلى آخره »

علىّ أن أخمّن باقى الجملة :

أمن المقدّر أن تكون روما رازحة تحت حكم فرد واحد ؟ روما ؟ لقد طرَدَ أجدادى «تاركوين » من شوارع روما وكان يُدعى ملكا . . . « تكلّم . واضرب ، واثأر » . . أينا شدوننى أن أتكلم وأن أضرب ؟ إنى أَعِدُك ، أى روما ، متى قر القرار على الثأر أن يحقّق لك بروتس كل ماتنشدين .

(يدخل لوسيوس)

لوسيوس : قد ولّى من شهر مارس يا مولاى أربعة عشر يوما .

(صوت طرق على الباب فى الداخل)

بروتـــس : حسنا ! امض إلى الباب فثمة طارق يطرقه .

(يخرج لوسيوس)

لم أذق النوم مُذ حّرضنى كاسيوس على قيصر . . ألا ما أشبه المدّة بين تنفيذ الفعلة الشنعاء وبين أول خاطر يخطر بشأنها بالوهم أو بالكابوس المرعب ! عندئذ تدخل روح المرء فى جدل مع جسده الفانى ، فتضحى حالته أشبه بمملكة صغيرة تعانى من حرب أهلية .

(يدخل لوسيوس)

لوسيوس : سيدى ، إنه أخوك كاسيوس بالباب ، يطلب لقاءك .

بروتـــس : أهو وحده ؟

لوسيوس : لا يا مولاى . ثمة آخرون معه .

بروتـــس : أتعرفهم ؟

لوسيوس : لا يا سيدى . فقد غطّوا الرءوس حتى الآذان بقلانسهم ، ودفنوا أنصاف وجوههم فى عباءاتهم ، فما من سبيل إلى أن أعـرف هويتهم من ملامحهم .

بروتـــس : دعهم يدخلون .

(يخرج لوسيوس)

هم أفراد المؤمراة . . أتخجل المؤامرة من أن تُظهر وجهها المكفهرّ بالليل حين ترتع الشرور فى حرية كاملة ؟ فأين سيكون بوسعك إذن إبّان النهار أن تجدى كهفا مظلما بما فيه الكفاية تخفين فيه وجهِك البشع ؟ لا تبحثى عن كهف أيتها المؤمراة . . يكفيك أن تُخفى وجهك وراء ستار من الابتسامات وظاهر الودّ . . فلو أنّكِ خرجتِ إلى الطريق بصورتك الحقيقية لما كانت الجحيم نفسها مظلمة بالدرجة الكافية لإخفائك ممن يريدون فضح أمرك .

(يدخل المتآمرون : كاسيوس ، وكاسـكا ، وديسيوس ، وسينّا ، وميتيلوس ، وتريبونيوس)

كاسيوس : أرى أننا قد تجرأنا على ساعات راحتك . . صباح الخير يا بروتس .

أفى زيارتنا إزعاج لك ؟

بروتـــس : لم أنم ليلى فقمت من فراشى منذ ساعة . . هل أعرف هؤلاء الرجال القادمين معك ؟

كاسيوس : نعم . كل فرد منهم . وما من رجل بينهم إلا يبجّلك . . ما من رجل إلا يريدك أن ترى نفسك كما يراك كل رومانى نبيل . . . هذا تريبونيوس .

بروتـــس : مرحبا به هنا .

كاسيوس : وهذا ديسيوس بروتس .

بروتـــس : مرحبا به هو أيضا .

كاسيوس : وهذا كاسكا . . وهذا سينّا . . وهذا ميتيلوس سيمبر .

بروتـــس : مرحبا بهم جميعا . . أية هموم تلك التى تحول بين أعينكم وبين النوم ؟

كاسيوس : أتأذن لى بكلمة فى أُذنك ؟ (يتهامسان جانبا)

ديسيوس : هنا جهة الشرق . ألا تشرق الشمس من هنا ؟

كاســكا : كلا .

ســـينّا : عفوا يا سيدى ، بل هى تشرق من هنا . وهذه الخطوط الرمادية التى تشّق السحب هى بشير الصباح .

كاسـكا : ستريان أنكما معا مخطئان . . فهنا حيث أشير بسيفى تطلع الشمس . فنحن الآن فى الربيع حين تشرق الشمس من موضع أقرب كثيرا إلى الجنوب . أما بعد نحو شهرين من الآن فإن الشمس تكون أقرب إلى جهة الشمال وقت إشراقها . وأما الشرق فهو ، كالكابيتول ، فى هذه الجهة .

بروتـــس : مّدوا إلىّ أيديكم جميعا ، واحدا إثر واحد .

كاسيوس : ولنقسم أن ننفّذ ما انتويناه .

بروتـــس : لا . لن نُقْسم . فإن لم يكن ما علا وجوه القوم من دلالات البؤس ، وما تشعر به نفوسنا من معاناة ، وما يسود زماننا من شرور ، بواعِثَ غير كافية للتّحرك ، فلينفضّ جمْعُنا على الفور ، وليمض كلٌّ منا إلى فراشه الوثير ، حتى يرتع الطغيان الصّلف فى حرية كاملة ، وحتى يخرّ كل

رجل بدوره صريعا . . أما إن كانت هذه البواعث كافية ، كما أعتقد ، لإيقاد نار الغضب فى قلوب الجبناء ، ولأن تملأ بالشجاعة صدور النساء الرقيقات ، فأية حاجة بنا ، أىْ مواطنّى ، إلى حافز على التحرك ، غير العزم الذى يدفعنا دفعا إلى إيجاد الحلّ ؟ وأية رابطة أخرى ننشدها غيرما يربط جمعاً من الرومان قادرين على كتمان سرّهم ، قد تعاهدوا فيما بينهم على أمر فلن ينكثوا العهد ؟ وأىّ قَسم آخر نريده غير وعد الحرّ للحّر أن ينفذّ عزمه أو يُصْرع فى سبيله ؟ . . لنطالب الكهنـــة والجبناء وخبثاء الطويّة بأداء اليمين . جِيَفٌ واهنة شمطاء ، وأنفُس ذليلة ترضى بالمذلة . أو ليطالبْ به مَن تُخْشَى خيانتُه لقضية فاسدة . . أما عن خطّتنا فلا تلوّثوا عدالتها أو بسالة أرواحنا بظنكم أن قضيتنا أو فعلتنا فى حاجة إلى قسم . . فلو أن أحدكم لم يوف بذرة واحدة من الوعد الذى قطعه على نفسه ، لَشَهِدَتْ كلُّ قطرة مـــن دمــــه الرومـانى الذى يتيه به على أن أمّه زانية .

كاسيوس : ولكن ماذا عن شيشيرون ؟ هل نفاتحه فى أمرنا ؟ فى ظنى أنه سيكون دعامة قوية لنا .

كاســكا : لا ينبغى أن نُغفله .

ســــينّا : بكل تأكيد لا .

ميتيـلوس : لنضمّه إلى جماعتنا . فلا شك أن شعره الأشيب سيُضفى علينا سُمعةً طيبة ، ويكسب أصوات المباركين لأفعالنا . . سيقال عندئذ إن حكمته كانت تحّرك سواعدنا ، وسيُخفى وقارُه نزقنا وصغر سنّنا عن أعين القوم .

بروتـــس : لا تذكروه ولا تفاتحوه . فهو امرؤ لا ينخرط فى أمرٍ بدأه غيرُه .

كاسيوس : فلنغفله إذن من حسباننا .

كاســكا : أجل ، فهو لا يصلح لهذا الأمر .

ديسيوس : ألن نقتل غير قيصر ؟

كاسيوس : أحسنت يا ديسيوس بإثارتك لهذا الموضوع . فمن رأيى أنه ليس من المصلحة أن نترك ماركوس أنطونيوس حيا بعد قتلنا لقيصر، وهو الصديق الأثير عنده ، وإلا صادفناه خصما ماكرا واسع الحيلة . فلو أنه استخدم وسائله وزاد من قوّته لامتدّ خطره إلينا وأصابنا منه الشر . وواجبنا هو أن نحول بينه وبين ذلك بأن نقتل أنطونيو وقيصر فى نفس اللحظة .

بروتـــس : ستبدو مؤامرتنا دموية أكثر مما ينبغى يا كاسيوس ، لو أننا بعد قطعنا للرأس انهلنا على الأعضاء تمزيقا . حينئذ سيبدو وكأنما كان الغضب باعثنـا على قتل قيصر ، والحسدُ دافعنا إلى قتل أنطونيو . فما أنطونيو غـير عضـو من أعضاء جسـد قيصر . . لنكـن مُضَحّـين لا جزّاريـن يا كاسيوس . فما وقوف جمعنا إلا ضّد روح قيصر ، وليس ثمة دماء فى أرواح البشر . . آه لو أننا إذن قد استطعنا أن نواجه روح قيصر دون أن نقتل قيصر ! غير أن قيصر للأسف لا بّد من أن يدفع دمه ثمنا لمطامحه . فرجائى إذن أيها الأصدقاء الكرام أن نقتله فى جرأة ، ولكن دون غضب أو حقد ؛ أن نقتله وكأنما هو قربان خليق بالآلهة ، لا وكأنما هو جيفة خليقة بالكلاب . ولتسلك قلوبنا مسلك السادة الأذكياء حين يحرّضون خدمهم على ارتكاب عمل من أعمال العنف ثم يتظاهرون بتوبيخهم بعد ارتكابه . . فمن شأن ذلك أن يجعل ما ننتويه يبدو ضروريا ، لا مقترنا بدافع الحسد . حتى إذا ما بدا الأمر كذلك فى أعين الجماهير ، سموّنا مُطَهِّرين لا مجرمين . . أما عن ماركوس أنطونيوس فلا تفكروا فيه . فما بوسعه أن يفعل أكثر مما ستفعله ذراع قيصر بعد أن يطاح برأس قيصر .

كاسيوس : ومع ذلك فإنى أتوجّس منه خيفة . ذلك أن الحب العميق الذى يكنّه لقيصر . . . .

بروتـــس : واأسفاه ! أرجوك ألا تفكر فيه يا كاسيوس . فإن كان يحب قيصر فما بمقدوره أن يمس أحدا غير نفسه ، أن يتأمل الوضع ، ثم يموت لموت

قيصر . . غير أن هذا أمر مستبعد ، فهو امرؤ مشغول فى المقام الأول بالألعاب والحياة الصاخبة وصحبة خلاّنه العديدين .

تريبونيوس : لا خوف منه إذن . . فلنتركه حيا . . ولا شك فى أنه إن عاش فسيأتى الوقت الذى يضحك فيه كلما فكّر فى أحداث هذا اليوم .

(الساعة تدق)

بروتس : صَهْ ! كم الساعة؟

كاسيوس : قد دقَّت الثالثة .

تريبونيوس : وحان وقت الانصراف .

كاسيوس : غير أنه لا يزال ثمة شك فيما إذا كان قيصر سيخرج من داره اليوم . فقد غدا أخيرا يؤمن بالخرافات ، خلافا لاعتقاده الراسخ فى الماضى بسخافة الأوهام والأحلام والقرابين والشعائر . . وربما أقنعتْه النُّذُر الرهيبة والبشاعة غير المعتادة فى هذه الليلة ، وكذا مناشدة العرّافين ، بألايبرح داره اليوم إلى الكابيتول .

ديسيوس : ليطمئن بالك . فلو أنه قرر ذلك فسأقنعه بالعدول عن قراره . . إنه مغرم بسماع الحديث عن إمكان استخدام الشجر فى صيد وحيد القرْن ، والمرايا لصيد الدببة ، والحفرات المغطاة بفروع الشجر لصيد الأفيال ، والشباك لصيد الأسود ، والإطراء والتملّق لصيد الرجال . غير أنى حين أقول له إنه يكره المدّاحين يؤمن على قولى ، ويُسعده جدا هذا المديح منى ! دعونى وإياه ، فبوسعى أن ألعب بمشاعره . وسأجعله يأتى إلى الكابيتول .

كاسيوس : بل وسنكون كلنا عنده لا صطحابه إليه .

بروتس : فى الساعة الثامنة . أهو الموعد الأقصى ؟

سينّا : ليكن الموعد الأقصى . فلا يتخلّفن أحد منا عن تلك الساعة .

ميتيـــلوس : إنى لأعجب كيف لم يفكر أيّكم فى كايوس ليجاريوس ، وهو الذى يكره قيصر منذ وبّخه على مديحه لبومبى .

بروتـــــس : فلتمرّ إذن يا عزيزى ميتيلوس على داره . . إنه يحبنى ، وقد شرحت له أسباب خشيتنا من قيصر . فإن أرسلته إلىّ هنا فسأتمكن من إقناعه .

كاســـيوس : ها هو الصباح يهلّ علينا . . سنتركك الآن يا بروتس . . أما عنكم أيها الأصدقاء فلتتفرّقوا . ولكن لا تنسوا ما قلتموه ، ولتُثبتوا للقوم أنكم رومان حقا .

بروتـــس : واحرصوا يا سادة على أن تبدوا هادئين مرحين ، فلا تفضح وجوهُكم أغراضكم . . أدّوا أدواركم كما يؤدى الممثلون فى المسرح الرومانى أدوارهم ، مخفين ما يختلج فى الصـدور ، فلا تحيدوا عن سلوككم المألوف . . والآن ، سعد صباح كل فرد منكم .

(يخرج الجميع عدا بروتس)

يا غلام ! لوسيوس ! أنائم أنت ؟ لا بأس . فلتنعم بنوم عميق فى مذاق الشّهد ، هبط على عينيك كالطّلّ . . ما من حسابات عندك تحسبها ، أو رؤى من تلك التى يثيرها القلق فى عقول البشر . فما عساه إذن أن يحول بينك وبين النوم العميق ؟

(تدخل بورشا)

بـــورشا : بروتس . سيدى .

بروتـــس : بورشا ؟ ماوراءك ؟ وما استيقاظك الآن ؟ إنما تضّرين بصحتك إذ تعرّضين نفسك لبرد الصباح ورطوبته وأنت فى حالتك من الضعف .

بورشـــا : وكذا أنت . . قد كنتَ قاسيا إذ تسللتَ يا بروتس من فراشى . . وليلة أمس ، إذ كنا نتناول العشاء ، إذا بك تنهض فجأة من مقعدك ، وتذرع الغرفة جيئة وذهابا مشغول الفكر تتنهد ، وقد عقدتَ ذراعيك على

صدرك . وحين سألتكُ ما الخبر ، رمقتنى طويلا بنظرة قاسية . فلما ألححتُ عليك ، هرشت رأسك ثم ضربتَ الأرض بقدمك فى نفاد صبر . غير أنى أعدْت السؤال ، فأصررتَ على ألا تجيب ، وشوّحت بيدك فى غضب تشير إلىّ أن أتركك . وقد تركتك خشية أن أزيد من سخطك الذى بدا لى أشدَّ مما ينبغى ، آملة مع ذلك أن يكون الأمر مجرد حالة نفسية عارضة من الحالات التى تُلمّ أحيانا بكل إنسان . . إنها لا تدعك تأكل ، أو تتكلم ، أو تنام . ولو أنها أثرت فى ملامحك تأثيرها فى شخصيتك لماَ عرفتُك . . بروتس . . سيدى العزيز ، أحطنى علما بسبب اكتئابك .

بروتس : صحتى ليست على ما يرام . وهذا هو كل ما فى الأمر .

بورشا : بروتس رجل حكيم ، ولو كانت صحته على غير ما يرام لا لتمس وسائل استعادتها .

بروتس : وهذا ما أفعله . . عزيزتى بورشا ، عودى إلى فراشك .

بورشا : هل بروتس مريض ؟ وهل يفيد صحتَه أن يخرج دون عباءة تحميه من رطوبة الصباح ؟ أبروتس مريض فيتسلّل من فراشه الدافىء ليعرّض نفسه لآفات الليل القارس ، ولهوائه الذى لم تطهّره الشمس فيضيف السعال إلى مرضه ؟ لا يا عزيزى بروتس . . ثمة أسى في نفسك يمُضُّك . ومن حقى كزوجة أن أعرفه . سأركع على ركبتىّ مستحلفة إياك ، بحق جمالى الذى كنتَ تُطريه يوما ما ، بحق كل ما قطعتَه على نفسك من عهود الحب ، وبحق العهد الأكبر الذى جمع بيننا فجعل منا شخصا واحدا ، أن تخبرنى ، أن تخبر نفسك ، أن تخبر نصفك ، بسّر اكتئابك وقلقك ، وبهويّة الرجال الذين زاروك هذه الليلة . فقد جاءك هنا ستة أو سبعة يخفون وجوههم حتى من الظلام .

بروتس : لا تركعى أى بورشا الرقيقة .

بورشـــا : ما كنت لأركع لو أنك بروتس الرقيق . . خبّرنى يا بروتس بحق رابطة الزوجية : أطبيعى ألاّ أُحاط علما بأسرارك ؟ هل أنا أنت ، ولكن فى حدود معينة ، وباستثناءات معينة ؟ أكلُّ المطلوب منى أن أجالسك أثناء تناول الوجبات ، وأن أشاركك فراشك ، وأن أحادثك أحيانا ؟ هل مكانى هو فى هامش حياتك وسعادتك ؟ إن كان الأمر لا يعدو هذا لكانت بورشا محظيّة بروتس لا زوجتَه .

بروتـــس : بل زوجتى الحبيبة الكريمة ، أُعزّها إعزازى لقطرات الدم الحمراء فى قلبى الحزين .

بورشـــا : لو كنت صادقا حقا لأخبرتنى بهذا السرّ . . صحيح أنى امرأة . غير أنى المرأة التى اختارها بروتس النبيل زوجة له . صحيح أنى امرأة . غير أنى امرأة من أصل كريم وابنة كاتو [1] . أفتحسب إذن ، وهذا زوجى وذاك أبى ، أنى امرأة فى ضعف سائر النساء ؟ خبرّنى بما تنتويه ولن أبوح به . وقد اختبرتُ مدى قدرتى على الاحتمال ، فطعنتُ نفسى طواعية هنا فى فخذى . . أفبمقدورى أن أحتمل هذا فى صبر دون أسرار زوجى ؟

بروتـــس : أيتها الآلهة ! اجعلينى جديرا بأن أكون زوجا لهذه المرأة النبيلة !

(صوت قرع على الباب فى الداخل)

صَهْ ! ثمة من يطرق الباب . ادخلى يا بورشا الآن ، وسأُفضى إليك فيما بعد بمكنون قلبى . سأخبرك بكل ما شغلنى عنك وبسرّ الاكتئاب الذى يغشى ملامحى . . أسرعى بالدخول .

(تخرج بورشا)

---

(١) ماركوس كاتو : سياسى وخطيب اشتهر بالشجاعة والنزاهة وقوة الاحتمال . وكان بروتس ابن أخته وزوج ابنته .

لوسيوس ! من الطارق ؟

(يدخل لوسيوس وليجاريوس)

لوسيــــوس : رجل مريض يريد التحدث إليك .

بروتـــــس : إنه كايوس ليجاريوس الـذى تحـدّث ميتيلوس عنه . . تنحّ جانبا يا غلام . . كيف أنت يا ليجاريوس ؟

ليجاريوس : أتسمح للسانى الواهن بإلقاء تحية الصباح ؟

بروتـــــس : أىّ وقت هذا الذى اخترتَه ، أى كايوس الباسل ، كى تلتحف بكساء المرض ! ليتك كنت سليما معافَى !

ليجاريوس : لستُ مريضا إن كان لدى بروتس خطّة مضمونها الشرف .

بروتـــــس : لدىّ مثل هذه الخطة يا ليجاريوس ، لو كان بوسعك أن تصغى إليها بأذن إنسان معافى .

ليجاريوس : بحق كل الآلهة التى يركع الرومان لها ، ها أنا أطرح عن نفسى المرض . أيا روح روما وابنها الباسل ، وسليل أجدادك النبلاء ! لقد أيقظتَ بسحرك روحى من موات ! لتأمرنى الآن بالجرى وسأفعل المستحيل حتى أبزّ الآخرين أجمعين . . ما الذى علينا أن نفعله ؟

بروتـــــس : فعلةٌ تُشفى المريض فتحُيله سليما .

ليجاريوس : ولكن ، أليس ثمة إنسانٌ سليمٌ سنحيله مريضا ؟

بروتـــــس : وهذا أيضا . . سأُفضى إليك بالأمر يا عـزيزى كايوس ونحن فى طريقنا ، وسأخبرك باسم الرجل الذى نستهدفه .

ليجاريوس : لتمض إذن فى طريقك ، وسأتبعك بقلب قد عادت إليه حماستُه ، لأفعل ما لا علم لى به . غير أنه يكفينى أن يكون بروتس قائدى .

بروتـــــس : اتبعنى إذن .

(يخرجان)

الفصل الثانى

المشهد الثانى

دار قيصر

(رعد وبرق - يدخل قيصر فى عباءة منزلية)

قيصر : لم تهدأ السماء ولا الأرض هذه الليلة . . وقد صرخت كالبورنيا ثلاث مرات أثناء نومها : « الغوث ، الغوث ! إنهم يقتلون قيصر ! » من هناك ؟

(يدخل خادم)

الخادم : مولاى ؟

قيصر : لتمض فتأمر الكهنة بتقديم القرابين إلى الآلهة ، وتعود إلىّ برأيهم فى احتمالات الوضع .

الخادم : سمعا وطاعة يا مولاى (يخرج)

(تدخل كالبورنيا)

كالبورنيا : ما الذى تعنيه يا قيصر ؟ أتفكر فى الخروج ؟ لن تخرج من باب دارك اليوم .

قيصر : بل سيخرج قيصر . فالأشياء التى تهدّدنى لم يحدث أبدا أن تطلّعت إلا إلى ظهرى . أما إن تطلّعت إلى وجهى فستخفى نفسها منه .

كالبورنيا : قيصر ! إننى ما ألقيت بالاً قطّ إلى نُذُر الشؤم . غير أنها الآن تخيفنى . فبالإضافة إلى ما سمعناه وشهدناه ، ثمة شخص بالدار يروى أمورا رهيبة مرعبة رآها الحرس الليلى . . هناك لبؤة ولدت أشبالها بالطريق ، وقبور انشقّت لتلفظ جثث الموتى ، ومحاربون شرسون أشدّاء خاضوا معركة فوق السحب وقد انتظموا فى صفوف وفرق ، وكأنما هم فى حرب حقيقية . . وقد تردّد فى الجو صخب المعركة ، وصهيل الخيل ، وحشرجة رجال يحتضرون ، بينما كانت الأشباح تصرخ وتولول فى الطرقات . . إنها أمور لا يكاد يصدقها العقل يا قيصر ، وإنى حقا لفى رعب منها .

قيــــصر : أثمّة مفرّ من قضاء الآلهة العظام متى أرادت لأمر أن يقع ؟ سيخرج قيصر رغم كل ما ذكرته . فهى نُذُر تخصّ العالم بأسره لا قيصر وحده .

كالبـورنيا : عند موت الحثالة لا تتساقط الشهّب ، غير أن السماوات نفسها تشتعل لتنذر بموت الملوك .

قيــــصر : الجبناء يموتون مرارا قبل موتهم ، أما الشجعان فلا يذوقون طعم الموت إلا مرة واحدة . وما هناك فى ظنى ما هو أعجب وأغرب من أن يخاف الناس الموت ، وهو النهاية المحتومة لا بدّ آتية .

(يدخل الخادم)

ماذا يقول العرّافون ؟

الخـــادم : يقولون لا تبرح دارك اليوم . فهم إذ بحثوا فى أحشاء حيوان قدّموه قربانا إلى الآلهة ، لم يعثروا له على قلب داخله .

قيــــصر : إنما تفعل الآلهة هذا تقريعا للجبناء . فما قيصر إلا حيوان لا قلب له لو أنه اختار المكوث اليوم فى داره رعبا . . لا . . لن يختار قيصر هذا . فالخطر يعلم جيدا أن قيصر أخطر منه . وما اثنانا غـير أسدين ولدا فى يوم واحد . قد وُلدتُ قبلهما وأنا الأشدّ هيبة . وسيخرج قيصر اليوم .

كالبورنيا : واأسفى عليك يا سيدى ! قد وارت ثقتُك بنفسك حكمتك . . أرجوك ألا تخرج اليوم . . قل إن جزعى لا جزعك هو الذى يُبقيك فى دارك . وسنرسل أنطونيو إلى مجلس الشيوخ ليخبرهم أنك متوعك اليوم . وها أنا أركع أمامك حتى تأخذ برأيى هذه المرة .

قيصر : سيخبرهم مارك أنطونيوس أننى متوعك . ومن أجلك أنت سألزم الدار.

(يدخل ديسيوس)

ها هو ديسيوس بروتس . سأكلفه هو بإبلاغهم .

ديسيوس : تحية لقيصر ! ولينعم قيصر الموقر بصباح سعيد . . حضرتُ لاصطحابك إلى مجلس الشيوخ .

قيصر : وكان حضورك فى اللحظة المناسبة . . بلّغ تحياتى شيوخ المجلس ، وأخبرهم أنى لن أحضر اليوم . فقولةُ أنى لا أستطيع الحضور محض كذب . وقولة أنى لا أجرؤ على الحضور كذبة أكبر . قل لهم يا ديسيوس إنى لن أحضر اليوم .

كالبورنيا : قل إنه مريض .

قيصر : أيكذب قيصر ؟ أم تُرانى قد حاربت وغزوت بلادا مترامية الأطراف ثم صرت أخشى أن أقول الحق لشيوخ مسنّين ؟ امض يا ديسيوس فخبّرهم أن قيصر لن يحضر .

ديسيوس : أى قيصر العظيم ، أذكر لى سببا حتى لا يضحكوا منى إن أنا نقلت ذلك إليهم .

قيصر : السبب هو مشيئتى . . لن أحضر . وفى هذا ما يكفى للإجابة على المجلس . . أما عنك أنت ، ولأنى أحبك ، فسأخبرك . . زوجتى كالبورنيا هنا تريدنى أن ألزم الدار . فقد رأت فى منامها الليلة تمثالا لى

يقطر دما نقيا وكأنه نافورة ذات مائة صنبور ، وقد توافد عليه الكثيرون من الرومان الأشداء يبتسمون ، ويغسلون أيديهم فيــه . وهى ترى فى كل هــذا نذيرا بشرور تحلّ بنا . ولذا فقد توسلت إلىّ راكعة أن أمكث اليوم بالبيت .

ديسيوس : لقد أُسىء تأويل هذه الرؤيا . فهى رؤيا جميلة تبّشر بالخير فأما عن تمثالك والدم المنبثق من صنابيره العديدة ، واغتسال الكثيرين من الرومان المبتسمين فيه ، فيعنى أن روما العظيمة سترضع منك دما يجدّد لها شبابها ، وأن رجــالا عظماء سيتدافعون للحصول على أثر أو عَظْم أو تذكــار عليــه مسحة من هذا الدم . . هذا هــو معنى الرؤيا التى رأتها كالبورنيا .

قيـــصر : وقد أحسنتَ أنت تأويلها .

ديسيوس : نعم . وستدرك هذا حين تسمع ما بوسعى أن أقوله وسأقوله الآن لك : فقد قرر مجلس الشيوخ أن يتوَّج قيصر العظيم اليوم ملكا . فإن أنت بعثتَ إليهم بمن يقول لهم إنك لن تحضر ، فقد يغيّرون رأيهم . وقد يسخر منك البعض فيقول : « لنؤجل جلسة المجلس إلى موعد آخر، وإلى أن ترى زوجة قيصر مناما أفضل ! » فإن أخفى قيصر نفسه ، أفلن يتهامسوا فيما بينهم بأن قيصر خائف ؟ . . صفحا يا قيصر . فإن حبى العميق لك ، وتطلّعى إلى أن أرى النجاح يكلّل مساعيك ، هما ما دفعانى إلى أن أقول ما قلته ، ورغم أنه قد لا يكون من الحكمة مصارحتُك به .

قيـــصر : ألا تبدو مخاوفُك الآن ساذجة يا كالبورنيا ؟ إننى خجل من تجاوبى معها . ناولينى عباءتى فإنى ذاهب .

(يدخل بروتس ، وليجاريوس ، وميتيلوس ، وكاسكا ، وتريبونيوس ، وسينّا ، وبوبليوس)

وها هو بوبليوس قد جاء لاصطحابى .

بوبليوس : نعمت صباحا يا قيصر .

قيصر : مرحبا بك يا بوبليوس .. بروتس ؟ ماالذى أيقظك فى هذه الساعة المبكرة ؟ صباح الخير يا كاسكا .. كايوس ليجاريوس ! ما كان قيصر أبدا فى عدائه لك أشدَّ ضراوة من هذا المرض الذى أنحل جسمَك ! .. كم الساعة الآن ؟

بروتس : قد دقت الثامنة يا قيصر

قيصر : إنى لشاكر لكم اهتمامكم وفضلكم .

(يدخل أنطونيو)

وها هو أنطونيو قد استيقظ مبكرا رغم سهره الطويل ليلا فى عربدته ! نعمت صباحا يا أنطونيو .

أنطونيو : ونَعِم صباح قيصر النبيل .

قيصر : قل لهم بالدار أن يستعدوا ، فإنى لأشعر بالخجل من انتظار القوم لى .. سينّا ! ميتيلوس ! آه ! سأقضى ساعة فى الحديث إليك يا تريبونيوس . تذكّر أن تُلفت إليك نظرى اليوم ، ولتكن بجوارى حتى أتذكر أمرك .

تريبونيوس : سأكون بجوارك يا قيصر .. (جانبا) سأكون بجوارك حتى ليودّ أعزّ أصدقائك لو أنى كنت بعيدا عنك !

قيصر : تفضلوا بالدخول أيها الأصدقاء لنشرب معا بعض النبيذ ، ثم نمضى على الفور سويا كما يبدو الأصدقاء .

بروتس : (جانبا) « كما يبدو الأصدقاء » يا قيصر لا تعنى الصداقة . وإن قلب بروتس ليتمزق كلما فكر فى هذا الأمر (يخرجون)

المشهد الثالث

شارع قرب الكابيتول

(يدخل أرتيميدوروس وهو يقرأ فى ورقة)

أرتيميدوروس : « قيصر ! إحذر بروتس . خذ حذرك من كاسيوس . لا تَقْرَبْ كاسكا . راقب سينّا . لا تأمن لتريبونيوس . لاحظ جيدا ميتيلوس سيمبر . ديسيوس بروتس لا يحبك . قد أسأتَ إلى كايوس ليجاريوس . . كل هؤلاء قد أجمعوا على أمر . وهدفهم هو قيصر . فإن كنتَ غيرَ مخلَّد فانظر حولك فى حذر . . إفراطك فى الثقة والشعور بالأمان يهزمه التآمر . . فلتحمِكَ . . الآلهة .

محبّك أرتيميدوروس »

سأقف هنا حتى يمرّ قيصر فأناوله هذا كما يفعل أصحاب المظالم . . إن قلبى يتمزق إذ أرى الفضيلة عاجزة عن النجاة من أنياب الغيرة والتنافس . . فإن قرأتَ يا قيصر هذه الرقعة فقد تنجو بحياتك . وإن لم تقرأها فلا بدّ من أن الأقدار قد تحالفت مع الخونة .

(يخرج)

المشهد الرابع
أمام دار بروتس

(تدخل بورشا ولوسيوس)

بورشا : أرجوك يا غلام ، إمض عَدْوًا إلى مجلس الشيوخ . . لا تجادلنى وأسرع ! ما وقوفك ياهذا ؟

لوسيوس : لأعرف المطلوب منى يا مولاتى .

بورشا : سيكون بوسعك أن تذهب وأن تعود قبل أن أتمكن من إخطارك بما ينبغى أن تفعله هناك ! فلأ تدرّع بالثبات والجلَد ، ولأقم جبلا شاهقا بين قلبى ولسانى ! عقلى عقل رجل ، غير أن فى ضعف النساء . وما أشقّ أن تحفظ النساءُ السرّ ! . . أما زلتَ هنا ؟!

لوسيوس : ولكن ما هو المطلوب منى يا سيدتى ؟ أن أمضى عدوا إلى الكابيتول ثم لاشىء غير ذلك ؟ ثم أعود إليك ولا شىء غير ذلك ؟

بورشا : بلى . تعود إلىّ يا غلام فتخبرنى إن كان مولاى بخير . فقد خرج اليوم من الدار وهو مريض . . راقب جيدا ما يفعله قيصر ، وأىّ الرجال يتزاحمون عليه بعرائضهم . . صَه ! أية جَلبَة أسمع ؟

لوسيوس : لا أسمع جلبة يا مولاتى .

بورشـــا : صه ! اصغ جيدا ! سمعتُ صوت أناس يهرولون وكأنها ثمة قتال . والريح تأتى بالصوت من صوب الكابيتول .

لوسيـوس : ما من صوت يا سيدتى أسمعه .

(يدخل العرّاف)

بورشـــا : تعال أيها الرجل ! من أىّ مكان أتيت ؟

العـــرّاف : كنت بدارى يا سيدتى .

بورشـــا : كم الساعة الآن ؟

العـــرّاف : حوالى التاسعة .

بورشـــا : أتوجّه قيصر بالفعل إلى الكابيتول ؟

العـــرّاف : لم يصله بعد يا سيدتى . وأنا ذاهب لآخذ مكانى فى الطريق حتى أراه وهو يمرّ إلى الكابيتول .

بورشـــا : لديك عريضة تقدّمها إلى قيصر ، أليس كذلك ؟

العـــرّاف : بلى يا سيدتى . فلوسمح قيصر بأن يكون رفيقا بقيصر ويستمع إلىّ ، فسأتوسل إليه أن يهتم بنفسه .

بورشـــا : ولم ! هل وصل إلى علمك أن البعض ينوى إيذاءه ؟

العـــرّاف : لا أعلم شيئا علم اليقين . بيد أن القلق يساورنى من أن تحدث أمور جسيمة . . نعمت صباحا ! الشارع ضيّق هنا . ولاشك فى أن الحشد فى موكب قيصر ، من الشيوخ والقضاة وأصحاب المظالم ، ستخنق زحمته رجلا ضعيفا مثلى . . فلأبحث عن مكان أوسع فأتحدث منه إلى قيصر العظيم أثناء مروره . (يخرج)

بورشا : علّى أن أدخل . . واحسرتاه ! ألا ما أضعف قلب المرأة ! . . أنجحت السماء سعيك يا بروتس . (جانبا) لا بد أن يكـــون الغلام قـد سمعنى . . (للغـلام) لدى بروتس مطلب لا يريــد قيصر أن يجيبه إليه . . أشعر بإغماء وبوهن يعترينى . . فلتسرع يا لوسيوس ، ولتنقل تحياتى إلى مولاى . قل له إنى منشرحة الخاطر ، ثم عُدْ إلّى لتخبرنى بما يقوله لك .

يخرجان

الفصـــل الثالث

الفصل الثالث

المشهد الأول
روما . شارع أمام الكابيتول

جمهرة من الناس من بينهم أرتيميدوروس والعرّاف

(يدخل قيصر ، وبروتس ، وكاسيوس ، وكاسكا ، وديسيوس ، وميتيلوس ، وتريبونيوس ، وسينّا ، وأنطونيو ، وليبيدوس ، وبوبيليوس ، وبوبليوس)

قيصر : (للعرّاف) قد حلّ منتصف مارس .

العرّاف : أجل يا قيصر ، غير أنه لم ينقض بعد .

أرتيميدوروس : تحية لقيصر . لتقرأ هذه الرقعة .

ديسيوس : (لقيصر) تريبونيوس يتوسل إليك أن تدرس مظلمته هذه متى أتيح لك الوقت .

أرتيميدوروس : بل اقرأ رقعتى أولا يا قيصر ، فهى تمَسُّكَ شخصيا . اقرأها أى قيصر العظيم .

قيصر : ما يمسّنا شخصيا ننظر فيه آخرا .

أرتيميدوروس : لا تؤجّل يا قيصر واقرأها على التّو .

قيصر : أمجنون هذا ؟

بوبليوس : تنحّ يا رجل..

كاسيـــوس : ما هذا ؟ تقدّم عرائضك فى الطريق ؟ قدّمها فى الكابيتول .

(يصعد قيصر السلم إلى مجلس الشيوخ ، يتبعه الباقون)

بوبيـــليوس : (لكاسيوس) أتمنى لمسعاكم النجاح اليوم .

كاسيـــوس : أيّ مسعى يا بوبيليوس ؟

بوبيليـــوس : إلى اللقاء .

بروتـــس : ما الذى يقوله بوبيليوس لينا ؟

كاسيـــوس : تمنىّ النجاح لمسعانا اليوم . . أخشى أن تكون خطتنا قد كُشفت .

بروتـــس : انظر ! إنه يقترب من قيصر . انظر !

كاسيـوس : كاسكا ! كن على استعداد لأن تباغت قيصر ، فهم قد يحاولون إحباط خطتنا . ما العمل يا بروتس ؟ لو أنهم كانوا قد اكتشفوا أمرنا فلن يعود كاسيوس أو قيصر أبدا إلى داره . وفى نيتى أن أنتحر .

بروتـــس : تماسك يا كاسيوس . . بوبيليوس لينا لا يتحدث عن خطتنا . انظر ! إنه يبتسم ، وقيصر لم تتغير أساريره .

كاسيـــوس : قد فطن تريبونيوس إلى أن دوره قد حان . أنظر يا بروتس ها هو يستدرج أنطونيو بعيدا عن مكاننا .

(يخرج أنطونيو وتريبونيوس)

ديسيـــوس : أين ميتيلوس سيمبر ؟ قل له أن يقّدم الآن إلى قيصر عريضته .

بروتـــس : قد تهيّأ لذلك . فلننضم إليه ونشاركه .

ســـينّا : أأنت أول من سيرفع يده يا كاسكا ؟

قيـــــصر : هل نحن جميعا مستعدون ؟ والآن ، ما هى المظالم أو النقائص التى ينبغى لقيصر ومجلس شيوخه علاجُها ؟

ميتيـــلوس : أى قيصر العظيم ! أى قيصر القوى ! أى قيصر الجبار ! ميتيلوس سيمبر على استعداد لأن يُلقى أمام مقعدك بقلبه الذليل . . .

قيـصـــر : علىّ أن أصدّك عن قصدك يا سيمبر . فكل هذا الركوع والسجود والانحناء قد يملأ نفوس الرجال العاديين بالتّيه والكِبر ، ويجعلهم يغّيرون من قرارهم ومن مجرى العدالة الصارم ، ويحيل القانون إلى مجرد قاعدة فى لعبة للأطفال يمكن خرقها فى أية لحظة . . لا تكن سفيها فتحسب أن قيصر هو من التقلّب بحيث يمكن إثناؤه عن قصده العادل كما يُثنَى البلهاء عن مقاصدهم ، بالكلمات المعسولة ، والركوع والانحناءات ، والتزلّف الوضيع كتزلّف الكلاب . لقد نُفى أخوك بمرسوم . فان أنت انحنيت وتضّرعت وتزلّفت من أجله فسأنحّيك عن طريقى بركلة من قدمى كما نفعل مع الكلاب . واعلم أن قيصر لا يظلم أحدا ، وأنه لايغيّر قـرارا له دون سبب وجيه .

ميتيلـــوس : أمّا هنا من صوت ذى شأن أكبر من صوتى وتكون له طلاوة أكبر فى مسمع قيصر العظيم ، فينقض الحكم بنفى أخى ؟

بروتـــــس : ها أنا أقبّل يدك يا قيصر ، لا عن مَلَقٍ وإنما عن رغبة فى أن تنقض من فورك الحكم ، فتطلق سراح بوبليوس سيمبر .

قيـــــصر : بروتس ! أنت ؟ !

كاسيـــوس : معذرة يا قيصر . . سامحْه . ها هو كاسيوس يخرّ ساجدا عند قدميك متوسلا أن تعيد إلى بوبليوس سيمبر حريته .

قيـــــصر : لو كنت مثلكم لأمكن إقناعى . ولو كان بوسعى التوسل إلى أحد لاستجبتُ لتوسلات الغير . غير أنى ثابت لا أتزحزح ، شأن النجم

القطبى الذى لا يدانيه فى ثباته كوكب آخر . . إن السماء مرصّعة بمصابيح لا حصر لها ، كلها من نار ، وكلها مضىء . غير أن واحدا من بينها فحسب هو الثابت فى موضعه . وكذا فى عالمنا هذا . هو ملىء بالرجال ، والرجال من دم ولحم ، كلهم ناطقٌ يفهم . غير أنى لا أعرف سوى واحد من بينهم فحسب ، لا تزحزحه عن مكانته الرفعية دَفعة أو هجوم . وأنا ذلك الرجل . وسأثبت ذلك بموقفى الآن : قد كنتُ ثابتا حين أرسلتُ سيمبر إلى منفاه ، وأبقى ثابتا بإبقائه فيه .

سينّا : أى قيصر !

قيصر : اسكت ! أبوسعك أن تزحزح جبل الأوليمب ؟

ديسيوس : أى قيصر العظيم !

قيصر : ألم يركع بروتس قبلك دون جدوى ؟

كاسكا : فلتتكلّم إذن يدى نيابة عنّى .

(يكون كاسكا البادىء بطعن قيصر ، ثم يتبعه المتآمرون الآخرون ، ويكون ماركوس بروتس آخرهم) .

قيصر : حتى أنت يا بروتس ؟ فليمت قيصر إذن . (يموت)

سينّا : تحرّرنا ! تحرّرنا ! ومات الطاغية ! أسرعوا ! أعلنوا الخبر ! اهتفوا به فى الشوارع !

كاسيوس : فليمض بعضُكم إلى منابر الشعب ليهتف : « الحرية وحق الاقتراع للكافة ! »

بروتس : أيها الناس ! أيها الشيوخ ! لا تفزعوا . لا تهربوا وابقوا فى أماكنكم . فإنما لقى الطموح جزاءه .

كاسكا : امض إلى المنبر يا بروتس .

ديسيوس : وكاسيوس أيضا .

بروتـــس : أين بوبليوس ؟

ســـينّا : ها هو ذا . قد أطار تمرّدنا صوابه .

ميتيلــوس : لنقف ثابتين معا خشية أن يعتزم بعض أصدقاء قيصر أن . . .

بروتـــس : لا تحدّثنى عن الوقـوف للدفاع عن أنفسنا . . وأنت يا بوبليوس لا تجزع . فما فى نيتنا أن نلحق الأذى بك أو بأى رومانى آخر . أخبر الناس بهذا يا بوبليوس .

كاسيـوس : ولتترك جَمْعنا يا بوبليوس حتى لا يُلحق الناسُ إن هم هاجمونا الأذى بك وأنت شيخ كبير .

بروتـــس : افعل ذلك . ولينصرف أيضا كل من لم يشترك فى فعلتنا فلا يدفع ثمنها غيرنا .

(يدخل تريبونيوس)

كاســكا : أين أنطونيو ؟

تريبونيوس : فّر إلى منزله جزعا . . الرجال والنساء والأطفال يحملقون ويصرخون ويعدون وكأنما هو يوم الحساب .

بروتـــس : سنعلم أيتها الأقـدار ما تخبئينه لنا . فأمـا عن الموت فنحن جميعا نعلم أنه لا بّد آت . وما يصرّ الناس إلا على تأجيـل حينه وإضـافة أيام إلى أعمارهم .

كاســكا : من قصّر من حياته بمقدار عشرين عاما قصّر بهذا المقدار جزعه من الموت .

بروتـــس : إن قَبلْنا هذا الافتراض فما الموت إلا نعمة . وبذا نكون أصدقاء لقيصر إذ قصّرنا أمد خوفه من الموت . . . لننْحَنِ أيها الرومان فنغسل أيدينا بدم قيصر حتى المرافق ، ولنلطّخ أسيافنا به ، ثم نمض قُدما إلى ساحة السوق ، فنشرع أسلحتنا الحمراء فوق رءوسنا ونهتف جميعاً : « السلام ! الحرية ! »

كاسيوس : لننَحنِ إذن ونغسل أيدينا . . كم من العصور بعدنا سيعيد تمثيل هذا المنظر النبيل هنا ، فى دول لم تولد بعد ، وبلغات لا تُعرف بعد ؟

بروتـــس : وكم من المرات سيراق دم قيصر فى دور التمثيل . وهو الراقد الان عند قاعدة تمثال بومبى ، لا فرق بينه وبين التراب .

كاسيوس : بعدد هذه المرات سيذكر الناس أفراد جماعتنا على أنهم الرجال الذين ردّوا على بلادهم حّريتها .

ديسيوس : ألن نخرج الآن ؟

كاسيوس : بلى . لنخرجن أجمعين . بروتس فى المقدمة ، وفى إثره أبسل وأطهر قلوب روما .

(يدخل خادم)

بروتـــس : صَهْ ! من هذا ؟ صديق لأنطونيو .

الخـــادم : طلب منى سيدى أنطونيو أن أركع أمامك هكذا يا بروتس ، وأن ألقى بنفسى هكـذا على الأرض ، وأن أقول عندئذ ما يلى : بروتس رجـــل نبيل حكيم ، شجاع أمين . وأما قيصر فكان قويا جسورا ، وعملاقا ودودا . قل إننى أحب بروتس وأوقّره . قل إننى كنت أهاب قيصر وأوقّره وأحبه ، فإن أذن بروتس لأنطونيو أن يأتيه آمنا ليسمع كيف استحق قيصر أن يُقتل ، فإن ماركوس أنطونيوس لن يحب قيصر ميّتا مثلما يحب بروتس حيّا ، بل وسيساند ويساعد بروتس النبيل دائما فى خضمّ الوضع الجديد ومزالقه ، وبكل إخلاص . . كذا يقول مولاى أنطونيو .

بروتـــس : سيدك رومانى حكيم باسل ، وما كان رأيى فيه غير هذا فى يوم ما . قل له أن يأتى هنا إن شاء ، وسنطلعه على بواعثنا ، مقسما بشرفى أنه سينصرف آمنا .

الخـــادم : سأحضره لتوّى . (يخرج)

بروتـــس : إنى واثق من أنه سيكون صديقا مخلصا لنا .

كاسيوس : ليتك على حق . أما عنى فإنى أخشاه أعظم الخشية ، وما خشيتُ فى حياتى شيئا إلا ثبت أنه قد كان لخشيتى ما يبررها .

(يدخل أنطونيو)

بروتـــس : ها هو قد جاء . مرحبا بك يا أنطونيو .

أنطـونيو : وا أسفا يا قيصر العظيم ! كـــذا على الأرض ترقد ؟ أتقلّصت كل فتوحاتك وأمجـادك وانتصاراتك وغنائمـك فى هـــذه المساحة الضيقة ؟ . . . وداعا ! . . . لا أدرى أيها السادة ما تنتوون ، وما إذا كان ثمة آخرون ينبغى أن يُفْصَدوا أو قد تجاوز الحدّ جحمهُم . . فإن كنتُ أحدَهم فما من ساعة تناسبنى قدر ما تناسبنى ساعة موت قيصر ، ولا من سلاح جدير بقتلى مثل سيوفكم التى زانها أنبل دم فى هـــذه الدنيا . . فإن كنتم تكرهوننى فإنى أتوسل إليكم أن تنالوا غرضكم منى الآن وأيديكم المضرّجة بالدماء ساخنة يتصاعد منها البخار . فلو أنى عشت ألف عام ، لما عرفتُ لحظة أنا فيها على استعداد لأن أموت ، ولا مكانا هو أنسب لموتى، ولا وسيلة هى أرضَى لى ، من أن أموت الآن ، وهنا ، بجوار قيصر ، وبأسيافكم ، يا خيرة رجال هذا العصر وسادته .

بروتـــس : أنطونيو ، لا تطالبنى بقتلك . قد نبدو لك الآن سفاحين قُساة القلوب بسبب منظر أيدينا ومـا ارتكبناه من فعلة منذ قليل . غير أنك لا ترى منا غير أيدينا ، وغير هذه الفعلة الدامية التى ارتكبتْها . أما قلوبنا فلا تراها . . إنها مفعمة بالشفقة . وهذه الشفقة على روما بسبب ما لحقها من الظلم هى التى أصابت قيصر بما أصابه . . فكما تقضى النار على النار ، قد قضت الشفقة عـــلى الإحساس بالشفقة . . وأمـــا عنك

يا أنطونيو ، فإن أسيافنا عنك كليلة ، وأذرعنا لن تمتدّ بسوء إليك . وقلوبنا تستقبلك بكل مشاعر الود الأخوى ، والحب المخلص ، وبالإعجاب والإجلال .

كاسيوس : وستكون لصوتك فعاليةُ صوت أيٍّ من الآخرين فى شؤون التعيين والترقية والتكريم .

بروتـــس : ولكن لتصبر حتى نهدّئ من روع الجماهير التى أطار الخوف وعيها . عندئذ أشرح لك السبب فى أنى ، وأنا الذى كنت أحمل المودّة لقيصر حتى فى لحظة طعنى إياه ، فعلتُ ما فعلت .

أنطـونيو : لا شك فى حكمتك يراودنى . فليمّد إلىّ كل رجل منكم يده الملطخة بالدم . أصافحك أنت أولا يا بروتـــس . ثم آخـذ بيـدك بعده يا كاسيوس . ثم يدك يا ديسيوس . ويدك الآن يا ميتيلوس . يـدك يا سينّا . ثم يدك يا كاسـكا الباسل . وأخيرا ، وليس آخرا فى مـودّتى ، يـدك يا عزيزى تريبونيوس . . واحسرتاه يا سادة ! ماذا عساى أقول ؟ لاشك فى أن سمعتى عندكم قد اهتّزت ، وأنكم لابُد سترونني أحد رجلين ، كلاهما سيىء : إمـا جبان أو مُداهن . . فأما عن حبى لك ، أى قيصر ، فقد كان حبا صادقا . ولو أن روحك أطلّت الآن علينا ، أفلن يحزنها أشدّ مما يحزنها موتُك أن ترى صديقك أنطونيو يسالم أعداءك ويصافح أيديهم الملطخة بالدم فى حضرة جثتك أى قيصر النبيل ؟ لو أنى لى أَعيناً بعدد ما فيك من جراح لكان الأنسب أن تذرف دموعا فى سرعة تدفق الدم مـن جراحك من أن أصادق أعداءك . . عفوا يا قيصر ! هنا واجهتَ أعداءك أيها الأيل الشجاع ، وهنا سقطتَ ، وهنا يقف صائدوك وقد لطخهم دمك . . قد كانت الدنيا بأسرها غابة يرتع فيها هذا الأيل ، وكان الأيل قلب الدنيا بأسرها . فما أشبه الراقد هنا الآن بالأيل قد وقع صريعا بأيدى حشد من الأمراء .

كاسيوس : أنطونيو ، . . .

أنطـونيو : عفوا أى كايوس كاسيوس . ما أقوله عن قيصر سيقوله عنه أعداؤه أنفسهم ، وليس إن صدر عن صديق له بكثير .

كاسيوس : لا ألومك على امتداحك قيصر على هذا النحو . غير أنى أتساءل : أىّ نوع من العـلاقة معنا تنتوى الدخول فيها ؟ هل نعتبرك فى عداد أصدقائنا ، أم نمضى فى سبيلنا فلا نعوّل عليك ؟

أنطونيـــو : لهذا الغرض صافحتكم . غير أن فكرى قد شرد حين وقع بصرى على جثة قيصر . . إنى صديق لكم أجمعين ، وأحبكم أجمعين ، على أمل أن تشرحوا لى سرّ خطورة قيصر ، وفيم كان يتمثّل هذا الخطر .

بروتـــس : لو لم تكن لدينا مثل هذه الأسباب لكان هذا المنظر أمامنا منظر جريمة نكراء . وأسبابنا من القوة والرجاحة بحيث لو أنك كنت يا أنطونيو إبنا لقيصر لا قتنعت بها .

أنطونيو : ذاك كل ما أنشده . كذلك فإنى ألتمس الإذن منكم بأن أحمل جثته إلى ساحة السوق ، وأن أخطب من فوق المنبر فى جنازته كما يليق بالصديق .

بروتـــس : لك هذا يا أنطونيو .

كاسيوس : كلمة معك يا بروتس . (ينتحى ببروتس جانبا) أنت لا تـدرى ما تصنع . لا تدع أنطونيو يخطب فى جنازته . ألاترى أن الناس قد يتأثرون بما هو قائل لهم ؟

بروتـــس : عفوا يا كاسيوس ، فرأيى هو الصواب . سأرقى المنبر قبله ، وأوضح أسباب اغتيالنا قيصر . وسأعـلن أن ما سيقوله أنطونيـــو إن هو إلا بإذننا ورضانا ، وإننا وافقنا على أداء كافة الشعائر المعهودة والطقوس فى جنازة قيصر .

كاسيوس : لا أدرى ما عساه أن يحدث . غير أنى غير راض عن ذلك .

بروتــس : أنطونيو ! لتصحب جثة قيصر . . لن تتعرّض لنا بلوم فى خطبتك بالجنازة ، غير أن بوسعك أن تثنى فيها على قيصر كما تهوى . . قل إنك إنما تتحدث بإذننا ، وإلا فلن تكون لك يد على الإطلاق فى تدبير أمر الجنازة . وسيكون حديثك من نفس المنبر الذى أقصده الآن ، وبعد فراغى من خطبتى .

أنطونيــو : فليكن . . لا أريد أكثر من هذا .

بروتــس : فلتجهّز الجثة إذن ، ثم تتبعنا .

(يخرج الجميع عدا أنطونيو)

أنطونيــو : صفحا يا قيصر ! واغفر لى أيها الرّميم الدامى إذ ترانى رقيقا متهاونا مع هؤلاء السفاحين . . إنها أشلاء أنبل رجل عاش على مّر العصور . وويل لليد التى أراقت هذا الدم الثمين ! سأُدلى الآن بنبوءة وأنا أتأمل جراحك الشبيهة بأفواه بكماء ، لكن شفاهها الحمراء كالياقوت تنفرج فتناشدنى أن يكون لسانى ناطقا باسمها . . . ستحلّ اللعنة على رءوس الناس . وستغرق كل أنحاء إيطاليا فى خضم الصراع الوحشى بين سكانها وفى لُجّة حرب أهلية ضروس . . سيكون منظر الدماء والدمار منظرا عاديا ، والمشاهد البشعة أمرا مألوفا بحيث تبتسم الأمهات إذ يرين أطفالهن وقد مزّقتهم يد الحرب أشلاءً . سيموت الإحساس بالشفقة إذ يألف الناس القسوة . . ستنطلق روح قيصر هائمة فى الأرجاء تنشد الثأر ، وإلهة الشّر إلى جواره ، قد خرجتا لتوّهما من الجحيم ، وسيهتف قيصر فى أنحاء بلادنا بصوت كصوت الملوك : الخراب والدمار ! ، ثم يُطلق كلاب الحرب من إسارها ، حتى تنتشر فى الأرض رائحة تلك الفعلة النكراء ، ورائحة الجثث العفنة التى تتأوه مناشدةً الأحياء أن يدفنوها .

(يدخل خادم أوكتافيوس)

أنت خادم أوكتافيوس قيصر ، أليس كذلك ؟

الخـــادم : بلى يا أنطونيو .

أنطونيــو : قد كَتَب إليه قيصرُ أن يحضر إلى روما .

الخـــادم : تسلّم رسائلـــه وهـــو الآن فى الطريق . وقد طلب منى أن أخبرك شفاهة . . . ويلاه ! أهذا قيصر ؟!

أنطونيــو : قد تصّدع قلبك ألما . . لتنتح جانبا فتطلق العنان لبكائك . . إن الحزن لعمرى تنتقل عدواه ، فها هما عيناى وقد نظرتا إلى دموع الأسى فى عينيك قد شرعتا فى البكاء . . . سيدك إذن فى الطريق ؟

الخـــادم : سيكون الليلة على مسافة عشرين ميلا من روما .

أنطونيــو : عُد إليه سريعا وخبّره بما حدث . . قل له إن روما فى حداد ، ومفعمة بالمخاطر ، وما من سبيل حتى الآن إلى عودة أوكتافيوس آمنا إليها . . أسرع إليه وخبّره بذلك . . لا . إنتظر لحظة . لن تعود حتى نحمل هذه الجثة إلى ساحة السوق . هناك سأمتحن قدرتى على الخطابة ، وأرى بنفسى كيف تقبّل الشعب فعلَة هؤلاء السفّاحين . حتى إذا ما عاينتَ بنفسك كل هذا نقلتَ إلى أوكتافيوس الشاب حقيقة الأوضاع . . . هلّم إذن فساعدنى .

(يخرجان حاملَين جثة قيصر)

الفصل الثالث

المشهد الثانى

الساحة العامة

(يدخل بروتس وكاسيوس مع حشد من العامة)

العامة : لا بّد من إقناعنا بالأسباب . . فاقنعونا إذن !

بروتس : اتبعونى إذن واسمعونى أيها الأصدقاء . . توجّه أنت يا كاسيوس إلى الشارع الآخر واقسمِ الجمع قسمين . ليبق معى هنا من سيستمعون إلىّ ، وليتبع كاسيوس من سيستمعون إليه . وسنوضّح لكم أسباب اعتقادنا أن قتل قيصر هو من أجل الصالح العام .

العامىّ الأول : سأستمع إلى بروتس .

العامّى الثانى: وسأستمع إلى كاسيوس ، ثم نقارن بين ما ذكراه من أسباب بعد استماعنا إلى كلٍّ على حدة .

(يخرج كاسيوس مع بعض العامة ـ يتجه بروتس إلى المنبر)

العامى الثالث: قد صعد بروتس المنبر ، فالزموا الصمت !

بروتس : اصبروا حتى أفرغ من حديثى . .

أيها الرومان ! بنى وطنى ! أصدقائى ! اسمعونى من أجل القضية التى أتبنّاها ، والزموا الصمت حتى تتمكنوا من سماعى . . صّدقوا

ما أقول حتى لا تسيئوا إلى شرفى ، وأحسنوا الظن بشرفى حتى تصدّقوا ما أقول . . لتُصدر حكمتُكم حكمها بصددى . ولتشحذوا أذهانكم حتى لا يجانب حُكمكم الصواب . فإن كان فى جمعكم صديق حميم لقيصر ، فإنى أقول له إن حب بروتس لقيصر ليس بدون حبه له . فإن تساءل هذا الصديق عن سبب ثورة بروتس على قيصر ، فها هو جوابى : لا لأن حبى لقيصر كان واهنا وإنما لأن حبى لروما كان أقوى من حبى لقيصر . أفكنتم تفضّلون أن يعيش قيصر ، وأن تموتوا جميعا عبيدا له ، على أن يموت قيصر ، وأن تعيشوا جميعا رجالا أحرارا ؟ بمقدار حب قيصر إياى أبكيه وأندبه . بمقدار نجاحاته أفرح له . . بمقدار بسالته أوقّره وأحيّيه . . غير أنى بمقدار طموحه أثـور عليه لأطيح به وأقتله . . ثمة دموعٌ لمحبّته ، وفرح لنجاحه ، وتوقير لبسالته ، وموت لطموحه . . فمن منكم هنا هو من الضِّعة بحيث يقبل أن يكون عبدا ؟ إن كان بينكم مثل هذا الشخص فليتكلم ، فقد أسأتُ إليه حقا . . من منكم هو من الدناءة بحيث يكره أن يكون رومانيا ؟ إن كان بينكم مثل هذا الشخص فليتكلم ، فقد أسأتُ إليه حقا . . من منكم هنا هو من الجهالة بحيث لا يحب وطنه ؟ إن كان بينكم مثل هذا الشخص فليتكلم ، فقد أسأت إليه حقا . . وها أنا أسكت فى انتظار الرد .

الجميـــــع : لا أحد يا بروتس ! لا أحد !

بروتـــــس : لم أسئْ إلى أحد إذن . وما فعلتُ بقيصر أكثر مما ستفعلون ببروتس . فأما عن أسباب قتله فمسجّلة بالكابيتول دون غَمْط لمجده الذى كان جديرا به ، ودون مبالغة فى ذكـر خطاياه التى استحق الموت من أجلها .

(يدخل ماركوس أنطونيوس وآخرون يحملون جثة قيصر)

ها هو جثمانه ينعيه ماركوس أنطونيوس . ورغم أنه لم يكن له ضلع فى مقتله ، فسيفيد منه بأن تكون له مكانة فى الدولة شأن كل فرد منكم . . وقبل أن أترككم أقول : إننى وقد قتلتُ أعز صديق لى من أجل خير روما ، أحتفظ بنفس الخنجر لقتل ذاتى متى ارتأى وطنى الخير فى موتى .

الجميـــــع : بل عِش يا بروتس ، عِش ، عِش !

العامّى الأول : لنوصله إلى داره فى موكب منا تكريما له .

العامى الثانى : ولنُقم تمثالا له بين تماثيل أجداده .

العامى الثالث : فليكن هو قيصر الجديد .

العامى الرابع : ولنتوّج فى شخصه خيرة صفات قيصر .

العـامى الأول : سنوصله إلى داره بالهتاف والصياح .

بروتـــــس : بنى وطنى ، . .

العـامى الثانى : صه ! صمتا ! بروتس يتكلم .

العـامى الأول : سكوت ! سكوت !

بروتـــــس : بنى وطنى الأعزاء ! دعونى أنصرف من هنا وحدى ، ولتبقوا هنا مع أنطونيو إكراما لى ، لتكرّموا جثة قيصر ، وتسمعوا الخطاب عن أمجاده الذى سيلقيه عليكم أنطونيو بإذننا ورضانا . . أتوسل إليكم ألا ينصرف من هنا أحد سواى حتى يفرغ أنطونيو من حديثه .

العـامى الأول : لنمكث فنستمع إلى أنطونيو !

العامى الثالث : دعوه يصعد إلى كرسىّ الخطيب ، وسنستمع إليه . اصعد أى أنطونيو النبيل .

أنطـــونيــو : أشكركم على بقائكم الذى أوصاكم به بروتس .

(يصعد المنبر)

العامى الرابع : ما الذى قاله عن بروتس ؟

العامى الثالث : يشكرنا على بقائنا الذى أوصانا به بروتس .

العـامى الرابع : خيرٌ له ألا يمسّ بروتس بكلمة سوء .

العـامى الأول : قيصر هذا كان طاغية .

العامى الثالث : هذا مؤكد . وقد كان من حسن حظنا أن تخلّصت روما منه .

العامى الثانى : صه ! لنسمع ما يمكن لأنطونيو قوله .

أنطـونيـــو : أيها الرومان الكرام ، . .

الجميـــــع : سكوت ! دعونا نسمعه .

أنطـونيـــو : أيها الأصدقاء ! أيها الرومان ! بنى وطنى ! أعيرونى أسماعكم . إنما أتيت لأدفن قيصر لا لأمدحه . فأما ما يرتكبه الناس من شرّ إبّان حياتهم فيبقى بعدهم ، وأما الخير فكثيرا ما يُدفن فى القبر معهم . فليكن هذا شأن قيصر . . قد أخبركم بروتس النبيل أن قيصر كان طموحا . فإن صحّ قوله فهى نقيصة رهيبة ، قد دفع قيصر من أجلها ثمنا رهيبا . وها أنا آتى هنا لأخطب فى جنازة قيصر ، بإذنٍ من بروتس ، ومن الآخرين معه . ذلك أن بروتس رجل نبيل . وهم كذلك ، كلهم رجال نبلاء . . قد كان قيصر صديقا لى . مخلصا وفيا . بيد أن بروتس يقول إنه كان طموحا ، وبروتس رجل نبيل . . قد أتى قيصر إلى روما بحشد من الأسرى الذين ملأت فدياتهم خزائن الدولة . فهل كـــان فى هذا ما يدل على طموح قيصر ؟ كان قيصر يبكى كلما تأوّه الفقراء الجوعى . ولو كان طموحا لكان أغلظ قلبا من أن يبكى . . بيد أن بروتس يقول إنه

كان طموحا ، وبروتس رجل نبيل . . قد شهدتم جميعا يوم عيد الخصوبة كيف عرضتُ عليه ثلاث مرات تاج المُلْك ، فأبى ثلاث مرات أن يقبله . فهل كان هذا طموحا ؟ بيد أن بروتس يقول إنه كان طموحا ، ومن المؤكد أنه رجل نبيل . . أنا لا أتحدث لأفنّد ما قاله بروتس . غير أنى هنا لأتحدّث عما أعرفه . . لقد أحببتموه جميعا فى يوم ما ، وما كان حبكم ليفتقر إلى مبررات . فأىّ مبرر إذن لإحجامكم عن التحسرّ عليه ؟ وأأسفاه ! قد فقد الناس عقلهم وولّت القدرة على التمييز إلى الحيوان الكاسر ! اصبروا معى . فقلبى الآن فى التابوت هناك مع قيصر ، وعلىّ أن أسكت حتى يثوب إلىّ .

العامى الأول : فى ظنى أن أقواله فيها الكثير من الحق .

العامى الثانى : لو تأملنا الأمر جيدا لتبيّنّا أنهم قد ظلموا قيصر.

العامى الثالث : أهكذا الأمر يا إخوانى ؟ إنى لأخشى أن يُولَّى مكانه من هو أسوأ منه .

العامى الرابع : أَوَعَيْت ما قاله ؟ لقد أبى قيصر أن يقبل التاج . فمن المؤكد إذن أنه لم يكن طموحا .

العامى الأول : لو ثبت هذا فإن البعض سيدفع غاليا ثمن فعلته .

العامى الثانى : المسكين ! عيناه فى حمرة النار من أثر البكاء .

العامى الثالث : ليس ثمة فى روما من هو أنبل من أنطونيو .

العامى الرابع : انظروا ! إنه على وشك أن يستأنف الحديث .

أنطونيو : بالأمس فقط ، كان بوسع كلمة من قيصر أن تقف فى وجه العالم بأسره . وها هو الآن يرقد هنا ، وما من رجل مهما بلغ من الفقر مضطر إلى أن يحُنى هامته له . . آه يا سادة ! لو أنى كنت أسعى إلى تحريض قلوبكم وعقولكم على التمرد والغضب ، لآذيت بروتس ،

ولأذيت كاسيوس ، وهما كما تعلمون جميعا رجلان نبيلان . غير أني لن أظلمهما . إني لأفضّل أن أظلم الموتى ، وأن أظلم نفسي وأظلمكم، على أن أظلم مثل هذين الرجلين النبيلين . . غير أن معي هنا صحيفة ، عليها ختم قيصر ، قد وجدتها في مكتبه ، هي وصيته . فلو أن العامة سمعت مضمون هذه الوصية التي لا أنوي مع اعتذاري لكم ـ أن أقرأها ، لمضت فقبّلت الجراح في جثة قيصر ، ولَدَسَّت مناديلها في دمه المقّدس ، أجل ، ولا لتمست شعرة من رأسه من قبيل الذكرى ، ثم تذكرها في وصيتها حين يحضرها الموت ، مخلّفه إياها لأبنائها باعتبارها إرثا ثمينا .

العامي الرابع : بل سنسمع الوصية . إقرأها يا أنطونيو .

الجميع : الوصية ! الوصية ! سنسمع وصية قيصر .

أنطونيو : صبرا أيها الأصدقاء الكرام . ليس من الصواب أن أقرأها . إذ ليس من المناسب أن تعرفوا قدر الحب الذي كان قيصر يكنّه لكم . فما أنتم من خشب ، ولا أنتم من حجارة . وإنما أنتم بشر ، إن سمعتم وصية قيصر هاجت مشاعركم ، وجن جنونكم . فمن الخير إذن أن تبقوا جاهلين بأنه جعلكم ورثة ما يملكه . إذ ما الذي عساه أن يحدث لو أنكم عرفتم ذلك ؟

العامي الرابع : اقرأ الوصية ! بل سنسمعها يا أنطونيو . ستقرأ علينا الوصية . وصية قيصر .

أنطونيو : ألا تصبرون ؟ ألا تنتظرون لحظة ؟ لقد تماديت وجاوزت الحّد إذ أخبرتكم بأمرها . فإني أخشى أن أسيء إلى الرجال الشرفاء الذين طعنت خناجرهم قيصر . . نعم . أخشى ذلك .

العامي الرابع : إنهم خونة لا رجال شرفاء .

الجميع : الوصية ! الوصية !

العامي الثاني : إنهم أوغاد ، مجرمون ! الوصية ! اقرأ علينا الوصية !

أنطـــونيـــو : تجبروننى إذن على قراءة الوصية ؟ فَلْتلْتفوا إذن فى حلقـــة حـول جثة قيصر ، ودعونى أكشف لكم الغطاء عن الرجل الذى كتب الوصية . هل أنزل ؟ هل تأذنون لى ؟

الجميــــــع : انزل !

العامى الثانى : انزل !

(يهبط أنطونيو إليهم من المنبر)

العامى الثالث : قد أذناً لك .

العـامى الرابع : كوّنوا حلقة ! التفّوا حوله .

العـامى الأول : قفوا بعيدا عن التابوت ، بعيدا عن الجثة .

العامى الثانى : أفسحوا مكانا لأنطونيو . . أنطونيو النبيل .

أنطـــونيـــو : أرجوكم ألا تزحمونى هكذا ، وأن تبتعدوا .

الجميــــــع : ابتعدوا . افسحوا مكانا له . تأخّروا إلى الخلف .

أنطـــونيـــو : لو كان بأعينكم دمع فلتستعدوا لذرفه الآن . . جميعكم يعرف هذه العباءة . إنى أذكر المرة الأولى التى لبسها قيصر فيها . كان ذلك فى خيمته فى إحدى أمسيات الصيف ، يوم أن قهر جيوش النّيرفى .[1] أنظروا ! هنا اخترق العباءة خنجرُ كاسيوس . وانظروا المزق الذى أحدثـه هنا كاسكا الحقود . وهنا أثر طعنة بروتس الأثير لدى قيصر . وإذ انتزع بروتس سيفه اللعين بعد طعنه ، تَبِعه دمُ قيصر كما ترون ، وكأنما خرج ليتأكد مما إذا كان هو بروتس حقا صـــاحب هـذه الطعنة القاسية . فبروتس ـ كما تعلمون ـ كان حبيب قيصر .

---

(١) قوم من المحاربين فى شمال غرب أوروبا ، خاض الجيش الرومانى معركة عظيمة ضدهم وكاد أن يُغلب فيها لولا بسالة قيصر الذى حوّل الهزيمة إلى نصر .

والآلهة تشهد على مدى إعزاز قيصر إياه . . كانت طعنته هذه أقسى الطعنات طرا . ذلك أنه ما لمحه قيصر الكريم وهو يطعنه ، حتى صرعه العقوقُ ونكران الجميل بأشد مما صرعته أيدى الخونة . حينئذ انفطر قلبه الكبير ، فغطى وجهه بعباءته ، وعند قاعدة تمثال بومبى التى كانت تفيض طيلة الوقت بالدماء ، سقط قيصر العظيم . وأية سقطة كانت تلك يا بنى وطنى ! وقتها كانت أيضا سقطتى ، وسقطتكم ، وسقطتنا جميعا ، وتولّت زمام أمورنا أيدى الخونة المضرّجة بالدماء . . أراكم تبكون الآن ،وتستشعرون الشفقة . وإنها لدموع كريمة تلك التى تذرفونها . ولكنكم أيها الكرام إنما تبكون ولمّا تشاهدوا غير أثر الطعنات فى عباءة قيصر . لتنظروا هنا ! فهنا قيصر نفسه وقد مزّقته كما ترون أيدى الخونة .

العامى الأول : أىّ منظر مفجع هذا !

العامى الثانى : واحسرتاه على قيصر النبيل !

العامى الثالث : يا شؤم هذا اليوم !

العامى الرابع : آه من الخونة الأوغاد !

العامى الأول : يا له من منظر دموى !

العامى الثانى : سنثأر لأنفسنا . الثأر ! الثأر ! تحرّكوا ، ابحثوا ، أشعلوا ، احرقوا ، اقتلوا ، إذبحوا ! لا تتركوا خائنا منهم حيا !

أنطونيو : انتظروا أيها المواطنون !

العامى الأول : صه ! سكوت ! إسمعوا أنطونيو الكريم .

العامى الثانى : سنسمعه ، ونتبعه ، ونموت معه !

أنطونيو : أصدقائى الكرام ، أصدقائى الأعزاء ! لا تدعونى أثير فيكم هذا

الفيض المفاجىء من التمرد . فأولئك الذين ارتكبوا هذه الفعلة رجال شرفاء ، رغم أنى ، للأسف ، لا علم لى بالأحقاد الشخصية التى دفعتهم إلى ارتكابها . . هم رجال حكماء شرفاء ، ولاشك فى أن لديهم أسبابا وردودا على تساؤلاتكم . . إننى لم أقدم هنا أيها الأصدقاء لأسرق منهم قلوبكم . فلستُ خطيبا فى بلاغة بروتس . وإنما أنا - كما تعرفوننى جميعا - رجل بسيط صريح ، محب لصديقه ، وهو ما يعرفه جيدا هؤلاء الذين أذنوا لى بالتحدث إليكم عنه . فأنا رجل أفتقر إلى الفطنة ، وإلى الكلمات المناسبة ، وإلى الجدارة ، وإلى إتقان التمثيل ، وإلى فصاحة القول وقوة الخطابة . وليس بوسعى أن أحرّك مشاعركم . وإنما أنطق بما يمّر بخاطرى . وأخبركم بما تعرفونه سلفا ، وأريكم جراح قيصر الرفيق ، جراحا كالأفواه الخرساء المسكينة المسكينة ، فأدعها تتحدث نيابة عنى . . أما إن كنت مكان بروتس وكان بروتس مكان أنطونيو ، لكان من السهل على أنطونيو أن يستثير مشاعركم ، وأن يزوّد كلا من جراح قيصر بلسان ينطق عنه ، ويدفع أحجار روما ذاتها إلى التمرد والثورة .

الجميـــع : بل سنتمرد ونثور .

العـامى الأول : وسنحرق دار بروتس .

العامى الثالث : فلنمض إذن . تعالوا نفتش عن المتآمرين !

أنطـونيـو : بل لتسمتعوا إلىّ أيها المواطنون . استمعوا إلىّ .

الجميـــع : اسكتوا واسمعوا أنطونيو . اسمعوا أنطونيو الكريم .

أنطـونيـو : ما هذا أيها الأصدقاء ؟ إنكم تنصرفون لتفعلوا ما لاتدرون ما هيّته ، ولا تدرون ، للأسـف ، كيف استحق منكم قيصر مثل هذا

الحب . فلأخبركم إذن ! لقد نسيتم أمر الوصية التى حدّثتكم عنها .

الجميـــــع : صحيح . الوصية . لنمكث ونستمع إلى الوصية .

أنطـــونيـــو : ها هى ذى . عليها خاتم قيصر . قد أوصى إلى كل مواطن رومانى على حدة بخمس وسبعين دراخمة .

العامى الثانى : ألا ما كان أنبلك يا قيصر ! سننتقم لموته .

العامى الثالث : ما كان أجدره بالمُلْك !

أنطـــونيـــو : اصبروا واسمعونى .

الجميـــــع : سكوت !

أنطـــونيـــو : وقد ترك لكم خلاف ذلك كافة حدائقه ، ودياره الريفية ، وبساتينه حديثة الغرس على هذه الضفة من نهر التِّيبر . تركها لكم ولورثتكم من بعدكم إلى أبد الآبدين . . حدائق بهيجة تتنزهون فيها وتروّحون عن أنفسكم . . كذا إذن كان قيصر . فمتى عسانا أن نرى مثله ؟

العامى الأول : لن نرى مثله أبدا ، أبدا . فلنمض إذن ! لننصرف ! سنحرق جثته فى المعبد المقدس ، ونحرق بالمشاعل منازل الخونة . . احملوا جثته .

العامى الثانى : لننطلق نبحث عن المشاعل .

العامى الثالث : اكسروا المقاعد الخشبية !

العامى الرابع : وهشّموا إطارات النوافذ ومصاريعها . . أىّ شىء !

(تخرج العامة بجثة قيصر)

أنطـــونيـــو : ولنر الآن أثر كلماتى فيهم ! قد هلّ الدمار إذن ، وليمض فى سبيله إلى حيث شاء .

(يدخل خادم)

ماوراءك يا صاح ؟

الخـــــادم : مولاى ، قد وصل أوكتافيوس إلى روما .

أنطـــونيـــو : وأين هو الآن ؟

الخـــــادم : مع ليبيدوس فى منزل قيصر .

أنطونيـــــو : سأمضى إليه لتوّى فأزوره . . قد وصل فى الوقـــت المناسب لى تماما . . إن آلهة الحظ تبتسم لنا وستُنعم علينا فى حالها هذا بكل ما نريد .

الخـــــادم : سمعته يذكر أن بروتــس وكاسيـوس قـد فرّا كمجنونين عبر أسوار روما .

أنطـــونيـــو : ربما علما بأمر العامة وكيف أثرتُ مشاعرها . . لتمض معى إلى أوكتافيوس .

(يخـــرجـان)

الفصل الثالث

المشهد الثالث

شـــــارع

(يدخل سينّا الشاعر)

ســــــــينّا : رأيتُ فى منامى ليلة أمس أنى أتعشى مع قيصر ، وما وقع من أحداث يُثقل مخيلتى وينذرنى بالشر . . لم تكن لدىّ رغبة فى الخروج من دارى ، ومع ذلك فثمة ما دفعنى إلى الخروج .

(يدخل أفراد من العامة)

العـامى الأول : ما اسمك ؟

العـامى الثانى : وإلى أين أنت ذاهب ؟

العامى الثالث : أين تسكن ؟

العـامى الرابع : متزوج أنت أم أعزب ؟

العامى الثانى : أجب كل فرد منا بوضوح .

العـامى الأول : نعم ، وباختصار .

العـامى الرابع : نعم ، وبحكمة .

العامى الثالث : نعم ، وبصدق ، وإلا أصابك العطب .

سـيـنّا : ما اسمى ؟ وإلى أين أنا ذاهب ؟ وأين أسكن ؟ وهل أنا متزوج أم أعزب ؟ فلكى أجيب كل فرد منكم بوضوح ، وباختصار . وبحكمة ، وبصدق ، أقول بحكمة إننى أعزب .

العامى الثانى : أتقصد بهذا أن الحمقى هم الذين يتزوجون ؟ ستنال منى ضربة جزاء ما قلت . . واصل حديثك على الفور .

سـيـنّا : على الفور أذهب إلى جنازة قيصر .

العامى الأول : كصديق أم عدو ؟

سـيـنّا : كصديق .

العامىّ الثانى : قد أجاب على هذا السؤال بوضوح .

العامى الرابع : وأين تسكن ؟ باختصار .

سـيـنّا : باختصار ، أسكن قرب الكابيتول .

العامى الثالث : واسمك ياسيدى بصدق .

سـيـنّا : بصدق أقول إن اسمى سينّا .

العامى الأول : مزّقوه إربا . هو من المتآمرين .

سـيـنّا : أنا سينّا الشاعر . . سينّا الشاعر !

العامى الرابع : اقتلوه لسخافة شعره ! اقتلوه لسخافة شعره !

سـيـنّا : لست سينّا المتآمر .

العامى الرابع : لا يهمّ . اسمه سينّا . انزعوا اسمه من قلبه ثم أطلقوا سراحه !

العامى الثالث : مّزقوه إربا ! مّزقوه ! هاتوا المشاعل ! المشاعل ! إلى بروتس ! إلى كاسيوس ! احرقوهم جميعا ! ليمض بعضكم إلى دار ديسيوس . والبعض إلى دار كاسكا ، والبعض إلى دار ليجاريوس . . هيا بنا ! هيّا !

(تخرج العامة)

الفصل الرابع

الفصل الرابع

المشهد الأول
منزل في روما

(يجلس أنطونيو وأوكتافيوس وليبيدوس إلى منضدة)

أنطونيو : سيعدم هؤلاء الرجال إذن . وقد وضعتُ أمام أسمائهم علامة .

أوكتافيوس : أخوك أيضا يجب قتله يا ليبيدوس . أتوافق ؟

ليبيدوس : أوافق على . . .

أوكتافيوس : ضع علامة أمام اسمه يا أنطونيو .

ليبيدوس : على شرط أن يُعدم بوبليوس ، وهو ابن أختك يا أنطونيو .

أنطونيو : لن يعيش بوبليوس . انظر ! ها أنا أُدينه بوضع العلامة . . ولكن . توجّه ياليبيدوس إلى دار قيصر ، فأحضر الوصية هنا ، وسنقرر كيف نخفض من المصروفات باستخدامنا بعض أموالها .

ليبيدوس : أسأجدكما هنا عند عودتى ؟

أوكتافيوس : هنا . . . ، أو فى الكابيتول . (يخرج ليبيدوس) .

أنطونيو : إنه رجل تافه هزيل الشأن ، خليق بأداء مهمة الساعى ! أمن الصواب

وقد قسمنا العالم إلى ثلاثة أقسام ، أن نقبله واحدا من حكامه الثلاثة ؟

أوكتافيوس : كان هذا رأيك ، ومع ذلك فقد قبلتَ أن يكون له صوت فى تحديد أسماء المطلوب إعدامهم ، وقت اتخاذنا قرارنا الجهم بالإدانة وتوقيع الجزاء .

أنطـــونيو : أوكتافيوس ، قد شهدتُ من الأيام أكثر مما شهدتَ أنت . ورغم أننا نُضفى على هذا الرجل كل هذه المظاهر من التكريم حتى نُعفى أنفسنا من أوزار متنوعة قد لا تجلب علينا غير لوم أعدائنا الحاقدين ، فإنه لن يحملها إلا كما يحمل الحمار الذهب ، يئن تحت عبئه ويتصبّب عرقا ، سواء قُدناه أو دفعناه ، بينما نحدّد له نحن طريقه . حتى إذا ما أوصلْنا كنزنا إلى المكان الذى نريده ، وضعنا عنه وِزرَه ، وصرفناه صَرْفنًا للحمار بعد حطّ المتاع عنه ، فيهزّ أذنيه ، ثم يشرع فى البحث عن الحشائش يأكلها فى الأرض المشاع .

أوكتافيوس : أنت حرّ فيما تصنع . غير أنه جندى مُجرَّب باسل .

أنطـــونيو : وكذا حصانى يا أوكتافيوس . ولبسالته أخصّص له قدرا كبيرا من الطعام . إنه مخلوق أُعلّمه كيف يحارب ، وكيف يدور على أعقابه ، وكيف يتوقّف ، وكيف ينطلق مباشرة إلى هدفه ، غير أن حركات جسمه أتحكم أنا فيها بعقلى . والواقع أن ليبيدوس ، فى عدة أمور ، لا يعدو أن يكون كحصانى . . هو فى حاجة إلى التعليم ، وإلى التدريب ، وإلى أن يُؤمر بالانطلاق . . إنسانٌ لا أفكار عنده ، يعيش على أمل الخروج بنظريات أو تبنّى نظريات هجرها الناس منذ أمد بعيد ، ووجدوها عقيمة بالية ، ويراها هو أحدث ما وصل إليه عقل إنسان ! فلا تتحدث عنه إلا باعتباره أداة . . . والآن يا أوكتافيوس .

استمـــع إلى هذه الأنباء الهامـــة : بروتس وكاسيوس يحشدان الجيوش ، وعلينا أن نتقدم لتوّنا صوبهما ، وأن نجمع شتات قواتنا فى جيش واحد . . علينا أن نضمن مساندة خيرة أصدقائنا ، وأن نبذل قصارى جهدنا حتى نقرر سريعا أفضـــل سبيل لإعلان الأخبار التى لا يعرفها الناس بعد ، وأضمن وسيلة لمجابهة الأخطار التى تعرفها الكافة .

أوكتافيوس : لنفعل ذلك . فإننا شأننا شأن الدبة الأسيرة المقيّدة إلى سارية ، تنبحها كلاب مهاجِمةٌ هى أعداؤنا الكثيرون . بل إن بعض أولئك الذين يبتسمون فى وجوهنا ، يكنّون لنا الشّر فى قلوبهم وما لا يُحصى من الأحقاد .

(يخرجان)

المشهد الثانى
معسكر قرب سارديس ـ أمام خيمة بروتس

(صوت طبل ـ يدخل بروتس ولوسيليوس مع بعض الجنود ، فيقابلهم تيتينيوس وبينداروس)

بروتس : قف هناك !

لوسيليوس : قف وانطق بكلمة السر .

بروتس : أهذا أنت يا لوسيليوس ؟ أكاسيوس على مقربة منا ؟

لوسيليوس : هو قريب منا . وقد جاء بينداروس يحمل إليك تحيات سيده .

بروتس : يحمل تحياته رجلٌ فاضل . . سيّدك يابينداروس ، إما لأنه قد تغّير ، أو لأن بعض ضباطه أساء السلوك ، قد زوّدنى بسبب وجيه للسخط على بعض فعاله . غير أنه ما دام سيأتينى الآن ، فسأناقش الأمر معه وأطلب إيضاحا منه .

بينداروس : لا شك عندى فى أن سيدى النبيل سيبدو كما كان دائما ، رائُدهُ الحكمة والشرف .

بروتـــــس : لا شك ، لاشك . . . أريد كلمة معك يا لوسيليوس . (جانبا) خبرنى ، كيف كان استقباله لك .

لوسيليوس : بالأدب والاحترام الكافى ، ولكن دون مظاهر الصداقة المألوفة ، ودون الحديث الصريح الودى الذى تعوّدته منه فى الماضى .

بروتـــــس : قد وصفتَ صديقا حميما برُدَت صداقته . . لاحظ دائما يالوسيليوس أنه حين يفتر الحب يحل مكانه الأدب المصطنع والرسميات . فمودّة الصديق الخالصة البسيطة ليست فى حاجة إلى هذه الحيل . أما ذوو الطوية الزائفة فشأنهم شأن الجياد ، إن أنت كبحت جماحها أظهرت تعطّشها إلى خوص المعارك وبشّرت بالإقدام والبسالة ، وإن أنت حفزتها على الركض إلى ميدان القتال نكّست رءوسها المزينة بالريش ، وصارت كالأحصنة المنهكة زريّة الشأن ، لايمكن الاعتماد عليها وقت الحاجة . . خبّرنى : هل يتقدّم جيشه ؟

لوسيليـــوس : فى نية الجيش أن يبيت هذه الليلة فى سارديس . وقد وفد الشطر الأعظم منه ومعظم الفرسان مع كاسيوس .

(صوت لحن عسكرى خافت بالداخل)

بروتـــــس : صَهْ ! لقد وصل . . تقدّم الهوينَى للقائه .

(يدخل كاسيوس وقواته)

كاسيـــوس : قف !

بروتـــــس : قف وانطق بكلمة السر !

الجندى الأول : قف .

الجندى الثانى : قف .

الجندى الثالث : قف .

كاسيــــوس : أخى الكريم ، قد أسأتَ إلىّ وظلمتنى .

بروتــــس : بحق الآلهة ، هل أنا ظالمٌ أعدائى حتى أظلم أخا لى ؟ !

كاسيــــوس : بروتس ! هدوءك هذا يخفى تحته الإساءة . وحين تكون . . .

بروتــــس : مهلا يا كاسيوس ، وتحدث عن شكواك بصوت خافت . إنى أعرفك جيــدا . وأمام أعين جيشينا هنا لا ينبغى أن يُظهر أيّنا للآخر غير الصداقة والودّ ، لا الخلاف والخصومة . . قل لهم أن يتأخروا . وفى خيمتى فلتتحدث يا كاسيوس كما تشاء عن مظالمك . وسأستمع إليها .

كاسيــــوس : بينداروس ! قل لقوّادنا أن يتراجعوا برجالهم قليلا عن مكاننا هذا .

بروتــــس : ولتفعل يالوسيليوس مثل هذا . . ولا تأذن لأى إنسان بدخول خيمتنا حتى ينتهى اجتماعنا . . قل للوسيوس وتيتينيوس أن يحرسا بابنا .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المشهد الثالث

خيمة بروتس

(يدخل بروتس وكاسيوس)

كاسيوس : إساءتك إلىّ تتمثّل فى الآتى : أدنت لوسيوس بيلاّ وشهّرت به لتقاضيه الرشاوى من أهل سارديس ، ولم تُلْقِ بالا إلى رسائلى التى دافعتُ فيها عنه باعتباره صديقا لى .

بروتـــس : قد أسأت إلى نفسك بكتابتك الرسائل فى هذا الشأن .

كاسيوس : فى مثل هذه الظروف التى نعيش فيها ليس من الحكمة إيقاع العقوبة الصارمة بكل مخالفة يسيرة .

بروتـــس : دعنى أخبرك يا كاسيوس أنك أنت نفسك متّهم فى نزاهتك إذ تبيع المناصب لغير المستحقّين مقابل الذهب .

كاسيوس : أنا متّهم فى نزاهتى ؟! أنت تعلم جيدا أنك لو لم تكن بروتس لكان كلامك هذا ، بحق الآلهة ، آخر ما تتفوّه به فى حياتك .

بروتـــس : قد غدا اسم كاسيوس درعا يحمى وراءه هذا الفساد ، فلا يجرؤ بسببك القومُ على طلب توقيع العقوبة .

كاسيوس : العقوبة ؟!

بروتـــس : تذكّر مارس . تذكّر منتصف مارس . ألم يُرق دم قيصر العظيم من أجل العدالة ؟ أىّ وغد منّا سدّد طعنته إلى جسده إلا من أجل العدالة ؟ أىّ شىء هذا ؟ أفبعد قتْلنا أكبر رجل فى هذا العالم بأسره لحمايته للّصوص ، يأتى رجل منا ، أو نأتى فنلوّث أصابعنا بتناول الرشاوى الوضيعة ، ونبيع المناصب الكبيرة التى نملك أمر التعيين فيها مقابل ما نستطيع نهشه من مال حقير ؟ إنى لأفضل أن أكون كلبا غبيا ينبح القمر على أن أكون رومانيا بهذا الخُلُق .

كاسيوس : لاتُثر ثائرتى يا بروتس فإنى لن أحتمل مثل هذا القول . إنك إنما تنسى نفسك إذ تحاول فرض أحكامك علّى . . إنى جندى ، نعم ، أطول منك خبرة وأقدر منك على اتخاذ القرار .

بروتـــس : أىّ هراء هذا ! لستَ كذلك يا كاسيوس .

كاسيوس : بل أنا كذلك .

بروتـــس : وأنا أقول إنك لست كذلك .

كاسيوس : لا تثرنى أكثر من هذا وإلا نسيتُ نفسى . . احتط لنفسك ولاتثرنى أكثر من هذا .

بروتـــس : دعنى منك أيها الإنسان التافه .

كاسيوس : أهذا يُعقل ؟

بروتـس : اسمع ما أقوله لك . أتنتظر منى أن أستسلم وأذعن أمام غضبك وهياجك ؟ أن يصيبنى الجزع من نظرات مجنون يحملق ؟

كاسيوس : أتنتظرين منى أيتها الآلهة أن أحتمل كل هذا ؟

بروتـــس : كل هذا ؟ بل وأكثر . فلتغضب حتى ينفطر قلبك المتغطرس ، ولتُظهر لعبيدك مدى غضبك حتى ترتعد فرائصهم . . أواجبى أن أتراجع ؟ أواجبى أن أراعيك ؟ أواجبى أن أتوقف فأُحنى قامتى خوفا من غضبك وثورتك ؟ لا وحق الآلهة ، بل ستتجرع أنت سموم حنقك ولو كان فيها موتك . ففى نيتى من الآن فصاعدا أن أتّخذك مادة لتسليتى ، بل ولضحكى ، كلما تفوهت بكلام كَلَسْع الزُّنبور .

كاسيوس : أوصل الأمر إذن إلى هذا الحد ؟

بروتـــس: تقول إنك جندى أفضل منى . أرنى كيف . أثبت زعمك وسيسرنى ذلك . فأنا أسعد دائما بالتعلم من الرجال العظام مثلك !

كاسيوس : بكل وجه تظلمنى . . أنت تظلمنى يا بروتس . قلتُ إنى جندى أطول منك خبرة ولم أقل أفضل منك . . أقلتُ أفضل منك ؟

بروتـــس : لا يهمنى ما إذا كنتَ قلتَها أم لا .

كاسيوس : لو كان قيصر حيا لما جرؤ على إغضابى مثلما تفعل أنت .

بروتـــس : مهلا مهلا ! ما كنتَ لتجرؤ على إثارته على هذا النحو .

كاسيـوس : ما كنتُ لأجرؤ ؟

بروتـــس : لا .

كاسيـوس : ماذا ؟! ماكنتُ لأجرؤ على إثارته ؟

بروتـــس : بحقّك ما كنت لتجرؤ .

كاسيوس : لا تعتمد أكثر مما ينبغى على صداقتى لك ، فقد أفعل ما أندم عليه فيما بعد .

بروتـــس : قد فعلتَ ما ينبغى أن تندم عليه . . . كاسيوس ، ليس فى تهديداتك ما يخيفنى . فثمة درع قوية من الأمانة يحمينى ، فتمّر تهديداتك بى مَرّ الريح الخاوية التى لا آبه لها . . قد بعثتُ إليك فى طلب مبلغ معين من الذهب ، فأبيتَ أن ترسله . طلبتهُ منك لأنى على غير استعداد لجمع الأموال بوسائل خبيثة . قسما إنى لأفضّل أن أسكّ قلبى نقودا وأن أجعل من دمى عملات على أن أنتزع من أيدى الفلاحين الخشنة ما يملكون من مال ضئيل ، بوسائل دنيئة . . أرسلتُ إليك فى طلب الذهب لأدفع لقوّاتى مرتباتها ، فأبيت أن تبعث به . أكان هذا مألوفا من كاسيوس ؟ أفكنتُ فاعلا هذا مع كاسيوس ؟ ألا لو أن ماركوس بروتس غدا شَرِهًا إلى المال إلى هذه الدرجة فحجب أمواله القذرة عن أصدقائه ، فلتمزّقيه أيتها الآلهة إربا بصواعقك .

كاسيوس : لم أرفض طلبك .

بروتـــس : بلى رفضته .

كاسيوس : لم أرفضْه ، وإنما هو خطأ رسولك الأحمق الذى أدّى إليك جوابى . . لقد مّزقت قلبى يا بروتس . . إنه لمن واجب الصديق أن يحتمل عيوب صديقه ، وبروتس يضخّم من عيوبى ويجعلها أكبر مما هى عليه .

بروتـــس : لا أضخّمها إلا متى رأيتك تستخدمها ضدى .

كاسيـوس : أنت لا تحبنى .

بروتـــس : أنا لا أحب عيوبك .

كاسيوس : عين الصديق عن العيوب كليلة .

بروتـــس : عين المنافق هى الكليلة ولو كانت العيوب فى ضخامة جبل الأوليمب .

كاسيوس : أقْدِم يا أنطونيو ، وتعـال يا أوكتافيوس لتثأرا لنفسيكما من كاسيوس وحده . فقد ملّ كاسيوس هذا العالم بعد أن كرهه إنسان يحبه ، وتحدّاه أخوه ، وقُرِّع كما يُقَرَّع العبيد ، ولوحِظت أخطاؤه وسُجّلت فى كتاب ، وتكرّر ذكرُها حتى حُفظت عـن ظهر قلـب مـن أجـل إلقائها فى وجهه . . . ويلى ! يكاد قلبى لوبكيت أن يتسرب فى دموعى . . هاك خنجرى ! وهاك صدرى العارى . فى جوفى قلب أثمن من منجم ذهب بلوتوس [1] . فإن كنتَ رومانيا حقا فلتأخذه . وإن كنتُ قد أبيتُ أن أعطيك الذهب فإنى أعطيك الآن قلبى . اطعن كما طعنت قيصر . وإنى لأعلم أنك فى ذروة كراهتك له كنتَ تحبه أكثر مما كنت تحب كاسيوس فى أى زمن كان .

بروتـــس : أَعِد خنجرك إلى غمده . وأطلق لغضبك العنان وقتما شئت ، فلك حرية أن تتفوه بما تريد قولـــه . واصنع ما بدا لك فلن آخذ إهاناتك على محمل الجد . . آه يا كاسيوس ! لقد قَرَنَتْك الأقدارُ فى نير واحد مع حَمَل يطوى الغضب فى قلبه كما يخفى حجر القداحة النار فى جوفه ، حتى إذا ما قُدح مرارا أخرج شرارة سريعة ، ثم يعود لتوّه باردا .

كاسيوس : أوَ قد عاش كاسيوس حتـى شـهد اليـوم الذى أضحى فيه مثار سخرية صديقه بروتس وضحكه ، وهو الذى قد غلب عليه القلَق وتكدّر مزاجه ؟

بروتـــس : حين تفوّهت بكلامى كنت أنا أيضا كَدر المزاج .

كاسيوس : أتقرّ بهذا إذن ؟ أعطنى يدك .

---

(١) فى الأصل : بلوتو (إله العالم السفلى) . والمقصود هو بلوتوس (إله الثراء) . وكثيرا ما كان كُتّاب العصر الإليزابثى يخلطون بين الإثنين .

بروتـــس : وقلبى معها .

كاسيوس : آه يا بروتس !

بروتـــس : ماذا بك ؟

كاسيوس : أما فى قلبك من الحب ما يكفى لاحتمالى حين تجعلنى فورة الغضب التى ورثتُها عن أمى أنسى نفسى فأسىء السلوك ؟

بروتـــس : بل فيه يا كاسيوس مثل هذا الحب . ومن الآن فصاعدا كلما احتددتَ على صديقك بروتس ، سيظن أنها والدتك التى تُقَرِّعُنى ، ويتركك فى سلام !

شـــاعر : (بالداخل) دعنى أدخل لأقابل القائدين . . بينهما خصومة وليس من الحكمة تركهما منفردين .

لوسيليوس : (بالداخل) لن تدخل إليهما .

الشـــاعر : (بالداخل) لن يمنعنى سوى الموت من الدخول .

(يدخل الشاعر ووراءه لوسيليوس وتيتينيوس ولوسيوس)

كاسيوس : ما هذا ؟ ما الخبر ؟

الشـــاعر : عارٌ عليكما أيها القائدان ! عارٌ عليكما ! ما الذى تصنعان ؟ تفاهما ، وعودا صديقين كما ينبغى لمثليكما أن يفعلا . اسمعانى فلقد شهدتُ من السنين أكثر مما شاهدتما .

كاسيوس : ها ها ها ! أىّ شعر ردىء هذا يأتينا به هذا الفظّ ؟!

بروتـــس : اخرج من هنا يا وقح ! اخرج !

كاسيوس : لا تغضب منه يا بروتس فهذا طبعه .

بروتــس : سأراعى طبعه حين يراعى الذوق والأدب . . ما شأن الحرب بهؤلاء السفهاء المهرّجين ؟ اخرج يا سفيه !

كاسيوس : انصرف ! انصرف !

(يخرج الشاعر)

بروتـــس : لوسيليوس وتيتينيوس ، خبّرا القوّاد أن يعدّوا المأوى لفرقهم هذه الليلة .

كاسيوس : ثم عودا إلينا وأحضرا ميسّالا معكما على الفور .

(يخرج لوسيليوس وتيتينيوس)

بروتــس : لوسيوس ! أحضر وعاءً من النبيذ .

(يخرج لوسيوس)

كاسيوس : لم أعرفْك قادرا على إظهار كل هذا الغضب .

بروتـــس : آه يا كاسيوس ! لقد تكاثرت علىّ الأحزان حتى أثقلت كاهلى .

كاسيوس : أنت لا تلتمس من فلسفتك العون إذن إن كانت مثل هذه المضايقات الصغيرة تخلّ من اتّزانك .

بروتــس : ما من أحد يحتمل الأحزان مثلى . . قد ماتت بورشا .

كاسيوس : ها ! بورشا ؟

بروتــس : ماتت .

كاسيوس : كيف نجوتُ من الموت على يديك إذن حين جرؤت على إغضابك ؟ يالها من خسارة رهيبة لا تُحتمل ! كيف ماتت ؟

بروتــس : لم تستطع صبرا على فراقى ، وأحزنها تعاظمُ قوة أوكتافيوس وأنطونيو .

فقد جاءنـي نبأ موتها مع الأخبار عن تزايد قوتها . عندئذ فقدت صوابها ، واغتنمت فرصة غياب خدمها فابتلعت جمرات موقدة .

كاسيوس : ثم ماتت ؟

بروتـس : أجل .

كاسيوس : يا إلهى !

(يدخل لوسيوس بالنبيذ وبعض الشموع)

بروتـس : لا تمض فى الحديث عنها . . ناولنى كأسا من النبيذ ، وفيها أُغرق خصومتنا يا كاسيوس . (يشرب)

كاسيوس : كان قلبى متعطشا إلى هذا العهد النبيل منك . . املأ الكأس يالوسيوس حتى يفيض النبيذ منه ، فما بوسعى أن أنهل الكفاية من مودّة بروتس .

(يشرب ـ يخرج لوسيوس ويدخل تيتينيوس وميسّالا)

بروتـس : ادخل يا تيتينيوس . مرحبا بالعزيز ميسّالا ! فلنجلس حول هذه الشمعة هنا ، ونناقش ما ينبغى علينا صنعه .

كاسيوس : أَفَقَدْناكِ يا بورشا ؟

بروتـس : كفى ، أرجوك . . قد وصلتنى هنا يا ميسّالا رسائل تُعلمنى بأن أوكتافيوس الشاب وماركـوس أنطونيوس يتقّدمان بجيش عظيم لمهاجمتنا ، ويتّجهان بسرعة صوب فيليبى .

ميسّالا : قد وصلتنى أنا أيضا رسائل بهذا المعنى .

بروتـس : أفيها جديد ؟

ميسّالا : قد أعدم أوكتافيوس وأنطونيو وليبيدوس مائةً من أعضاء مجلس الشيوخ بعد أن ضمّنوا أسماءهم قوائمَ المحكوم عليهم بالموت وأعداء الدولة .

بروتـــس : خطاباتنا تختلف حول هذه النقطة . فخطاباتى تذكر أن سبعين شيخا هم الذين أُعدموا بعد أن شملتهم القوائم ، وأن شيشيرون كان من بينهم .

كاسيوس : شيشيرون من بينهم ؟ !

ميـسّالا : أُعدم شيشيرون وفقا للحكم الوارد بالقائمة . . . أتلقّيت هذه الرسائل من زوجتك يا مولاى ؟

بروتـــس : لا يا ميسالا .

ميسالا : ولم يكن فى الرسائل ذكرٌ لها ؟

بروتس : لا ياميسالا .

ميسالا : أمر غريب .

بروتـــس : لِمَ تسأل ؟ أتذكر رسائلُك شيئا عنها ؟

ميـسالا : لا يامولاى .

بروتـــس : بحق شرفك الرومانى أصدقنى القول .

ميـسالا : إذن فبحق شرفك الرومانى احْتَملْ صدق قولى . . إنه لمن المؤكد أنها قد ماتت . وماتت على نحو غريب .

بروتـــس : وداعا إذن يا بورشا . . كلنا إلى الموت يا ميسالا . لقد خَطَر بفكرى مرارا أنها ستموت فى يوم ما ، فأضحت لدىّ القدرة الآن على احتمال النبأ .

ميـسالا : كذا يحتمل عظماء الرجال عظام الخطوب .

كاسيوس : كنت أحسبنى قادرا على الاحتمال مثلك . غير أنه يبدو أننى بحكم طبيعتى عاجز عن احتمال الرزايا كاحتمالك .

بروتـــس : لنعد الآن إلى مشاغل الأحياء ! ما قولك فى السير لتوّنا صوب فيليبى ؟

كاسيوس : لا أظن ذلك من الحكمة .

بروتـــس : والسبب ؟

كاسيوس : هاكَ إيّاه : إنه لمن الأفضل أن يبحث العدو عنا ، فتنقص مؤنه ، ويكلّ جنوده ، ويضرّ بنفسه ، فى حين نبقى نحن فى مواقعنا ، فنأخذ قسطا وافرا من الراحة ، ويكون بمقدورنا التحرك بسرعة متى اضطررنا إلى الدفاع .

بروتـــس : أسباب قوية تَجُبُّها أسباب أقوى : فأهـــل هذه المنطقة ، بيننا وبين فيليبى ، يُظهرون الرضا بنا ويكنّون العداوة ، وقد أبوا أن يزوّدونا بالمـؤن والرجال عن طيب خاطر . فإن سار العدو فيها زاد عدده بانضمام هؤلاء إليه . وحينئذ يقدم علينا وقد طَعِم وامتلأت صفوفه وشَجُع . وهو ما بوسعنا أن نحول دونه إن نحن تقّدمنا إلى فيليبى فواجهناه هناك وخلّفنا هؤلاء القوم وراء ظهورنا .

كاسيوس : اسمعنى أيها الأخ الكريم . .

بروتـــس : عفوا يا كاسيوس . . لتعلم أيضا أننا قد حصلنا على كل ما أمكننا الحصول عليه من أصدقائنا . صفوفنا عامرة . قضيتنا يانعة . وقوة العدو تتزايد يوما بعد يوم . نحن فى الأوج قد بتنا على شفا الانحدار . وثمة مَدٌّ فى شؤون البشر كالمدّ فى البحر : فإن اغتُنمت الفرصة فى عنفوانها جاءت لصاحبها بالحظ السعيد . أما إن أُغفِلت ، تحوّل الباقى من رحلة العمر إلى مستنقع ضحل وبؤس شديد . . ونحن الآن إنما نطفو على مثل هذا البحر الزاخر ، وعلينا أن نستغل التيار وهو فى صالحنا أو يبوء مسعانا بالفشل .

كاسيوس : فلتكن مشيئتك إذن . . تقدّم ، وسنتقدّم نحن أيضا فنقابلهم عند فيليبى .

بروتـــس : قد زحفت ظلمات الليل علينا أثناء حديثنا ، وتأبى الطبيعة إلا أن نذعن للضرورة فننام . غير أننا لن نأخذ غير قسط بسيط من الراحة . . أثمة ما تريد أن تضيفه ؟

كاسيوس : كلا . طابت ليلتك . نقوم مع الصباح الباكر ثم نمضى لشأننا .

(يدخل لوسيوس)

بروتـــس : أحضر لى عباءتى يا لوسيوس . . وداعا ياميسالا .

(يخرج لوسيوس)

طابت ليلتك يا تيتينيوس . وأنت يا كاسيوس النبيل الكريم ، طابت ليلتك وطاب رقادك .

كاسيوس : أخى العزيز . قد بدأت ليلتنا بداية مؤسفة . فلا تسمح أبدا بمثل هذه الخصومة بين روحَيْنا . . لاتسمح بتكررها يا بروتس .

بروتـــس : كل شيء على ما يرام .

كاسيوس : نعمت ليلتك يا سيدى .

بروتـــس : نعمت ليلتك أى أخى العزيز .

تيتينيوس و ميـــسالا : طابت ليلتك يامولاى .

بروتـــس : وداعا أجمعين .

(يخرج كاسيوس وتيتينيوس وميسالا)

(يدخل لوسيوس وقد أحضر العباءة)

ناولنى عباءتى . أين آلتك الموسيقية ؟

لوسيوس : هنا فى الخيمة .

بروتـــس : ما هذا ؟ تتكلم وقد غلب عليك النعاس ؟ إننى لا ألومك أيها الغلام المسكين . لقد أنهكك طول الحراسة . ناد كلوديوس وشخصا غيره من رجالى . وسأكلّفهما بالنوم على الوسائد فى خيمتى .

لوسيوس : (ينادى) فارّو وكلوديوس .

(يدخل فارّو وكلوديوس)

فـــارو : أينادى مولاى ؟

بروتـس : أرجوكما أيها السيدان أن ترقدا وتناما الليلة فى خيمتى . فقد يحدث أن أضطر إلى إيقاظكما لأكلّفكما بحمل رسالة إلى أخى كاسيوس .

فـــارو : إن أذن مولاى بقينا ساهرين فى انتظار أوامرك .

بروتـس : لا . لا . ارقدا أيها السيدان . فقد أغير رأيى ولا أبعث برسالة . . انظر يالوسيوس ! هذا هو الكتاب الذى طال بحثى عنه . . كنتُ قد وضعتُه فى جيب عباءتى !

(يرقد فارو وكلوديوس)

لوسيوس : كنت واثقا من أنك لم تعطنى إياه يا مولاى .

بروتـس : احتملنى أيها الغلام الطيب ، فقد بتُّ كثير النسيان . . أبوسعك أن تحول بعض الوقت بين جفونك الناعسة والنوم ، فتعزف على آلتك لحنا أو لحنين ؟

لوسيوس : أجل يا مولاى ، إن كان هذا يسرّك .

بروتـــس : يسرّنى يا غلام . . إنى أزعجك أكثر مما ينبغى ، غير أنك لا تعترض .

لوسيوس : هو واجبى يا مولاى .

بروتــس : لا ينبغى أن أطالبك بما هو فوق طاقتك ، خاصة وأنا أدرك أن الشباب أشد حاجة منا إلى النوم .

لوسيوس : قد نمتُ بعض الوقت بالفعل يا مولاى .

بروتــس : حسنا فعلت . وستنام مرة أخرى . . لن أستبقيك طويلا . ولو قُدّر لى أن أعيش فسأُكرِمك .

(موسيقى وأغنية)

هذا لحن ناعس . . نعاس كالموت يهبط كمطرقة من الرصاص على غلامى وهو يعزف . . طابت ليلتك أيها الغلام الوديع . لن أسىء إليك فأوقظك . . لو أنك أطرقت برأسك فستنكسر الآلة . فلآخذها منك . وطابت ليلتك أيها الولد الطيب . . . دعنى أرى . . دعنى أرى . . . ألم تكن هناك علامةٌ عند الصفحة التى توقفتُ عندها عن القراءة ؟ ها هى ذى فيما أظن .

(يجلس)

(يدخل شبح قيصر)

ما أضعف ضوء الشمعة ! ها ! من القادم هنا ؟ أحسبه ضعف بصرى الذى يصوّر لى هذا الشبح الغريب . . هو قادم صوبى . . أأنت شىء ؟ إله أنت أم ملاك أم شيطان من الشياطين ، يبرُدُ دمى ويقف شعرى لرؤيته ؟ خبّرنى من أنت !

الشبــح : روحك الشريرة يا بروتس .

بروتــس : وما قدومك ؟

الشبــح : لأنبئك بأنك سترانى عند فيليبى .

بروتـــس : فسأراك ثانية إذن ؟

الشبـــح : أجل . عند فيلبيى .

(يخرج الشبح)

أمّا وقد بدأتُ أسترد شجاعتى فقد اختفيت . كنت أودّ إطالة الحديث معك أيتها الروح الشريرة . . . يا غلام ! لوسيوس ! فارو ! كلوديوس ! استيقظوا يا سادة ! كلوديوس .

لوسيـوس : الأوتار يا سيدى غير مضبوطة .

بروتـــس : يحسب أنه لا يزال يعزف على آلته ! لوسيوس ! أَفِق !

لوسيـوس : مولاى !

بروتـــس : أرأيتَ منامًا يالوسيوس فصرخت ؟

لوسيوس : لا أعلم يا مولاى إن كنتُ قد صرخت .

بروتـــس : بلى قد صرخت . أرأيت شيئا ؟

لوسيـوس : لاشىء يا مولاى .

بروتـــس : عد إلى نومك يالوسيوس . . وأنت هناك ! كلوديس ! أيها الرجل !

فـــارو : مولاى ؟

كلوديوس : مولاى ؟

بروتـــس : ما صياحكما أيها الرجلان أثناء النوم ؟

الاثنـــان : أصحْنا يا مولاى ؟

بروتـــس : أجل . أرأيتما شيئا ؟

فـــــارو : لا يا مولاى . لم أرشيئا .

كلوديوس : ولا أنا يا مولاى .

بروتـــس : فلتمضيا وتنقلا تحياتى إلى أخى كاسيوس . قولا له أن يخرج بقوّاته مبكرا قبلى ، وسنتبعه .

الاثنـــان : سمعا وطاعة يا مولاى (يخرجان)

الفصـــل الخامس

الفصل الخامس

المشهد الأول

سهول فيليبى

(يدخل أوكتافيوس وأنطونيو وجيشهما)

أوكتافيوس : قد تحققت آمالنا إذن يا أنطونيو ! كان من رأيك أن العدو لن يهبط إلينا ، وأنه سيلزم التلال والمرتفعات . غير أن هذا لم يحدث . فقد اقتربت قواته منا ، وفى نيته أن يتهدّدنا هنا فى فيليبى ، فيها جمنا من قبل أن نضطره إلى الهجوم .

أنطونيو : لا تقلق . فأنا أدرى ما يدور بخلدهم ، وأعلم سّر تقدمهم هذا . لقد كان يسعدهم لو أنهم فى غير هذا المكان . غير أنهم يهبطون إلينا مظهرين البسالة ومبطنين الخوف ، ظانّين أننا سننخدع بمظهرهم . وهو مالن يحدث .

(يدخل رسول)

الرسول : استعدّوا أيها القادة . فالعدو يتقدم فى بسالة وعلى أكمل صورة ، وقد رفع راية القتال الحمراء ، وبدا وكأنما هو على شفا التحرّش بنا .

أنطونيو : أوكتافيوس ! فلتتقدّم قواتك على مهل ، والزم يسارَ السهل .

أوكتافيوس : سألزم يمين السهل . والزم أنت يساره .

أنطـــونيو : لِمَ تعارضنى فى مثل هذه اللحظات الحاسمة ؟

أوكتافيوس : أنا لا أعارضك . وإنما هى مشيئتى أن ألزم اليمين .

(صوت لحن عسكر)

(صوت طبل - يدخل بروتس وكاسيوس بجيشهما)

بروتـــــس : قد توقفوا يريدون التحدث معنا .

كـاسيوس : احتفظ بموقعك يا تيتينيوس ، فسنخرج من الصفوف للحديث .

أوكتافيوس : هل نُعطى إشارة بدء القتال يا أنطونيو ؟

أنطــونيـو : لا يا قيصر . وإنما نقاتلهم حين يشرعون فى الهجوم . ولكن لنتقدم . فالقادة يريدون الحديث .

أوكتافيوس : لا تتحركوا حتى تُعطى الإشارة .

بروتـــــس : تبادل الكلمات قبل تبادل الضربات ؟ أهذا ما تريدونه يا بنى وطنى ؟

أوكتافيوس : لا لأننا نفضّل الكلام مثلك .

بروتـــــس : الكلمات الجيدة خير من الضربات السيئة يا أوكتافيوس .

أنطـــونيو : عهدى بك يا بروتس أنك تتفوّه بكلمات جيدة وقت تسديدك لضربات سيئة ، وهـو ما تشهد به الطعنة التى سـددتها إلى قلب قيصر صائحا : « مرحَى لقيصر ! عاش قيصر ! »

كاسيوس : أنطونيو ! أما عن نوعية ضرباتك فى الحرب فلا نعرفها بعد . وأما عن كلماتك فقد عهدناها تسرق خلايا النحل فى هِيبْلا [1] وتتركها خالية من العسل !

---

(١) يقصد خطابه إلى الجمهور عقب مصرع قيصر . وهيبلا موقع فى صقلية مشهور بجودة عسله .

أنطـونيو : معسولة نعم ، ولكنها تلسع !

بروتـس : أجل ، وتركتَ النحلّ أيضا دون طنين ، إذ سلبتَه إيّاه يا أنطونيو ، وصرتَ من الحكمة بحيث تُرهب به عدوّك قبل أن تلسعه .

أنطـونيو : وهو ما لم تفعلوه أنتم أيها الأوغاد حين تكسّرت نصالُكم الدنيئة على النصال فى جوف قيصر . . أبديتم لـه أسنانكم وراء ابتساماتكم شأن القردة ، وتملّقتموه شأن الكلاب ، وأحنيتـم رءوسكم أمامه شأن العبيد ، وقبّلتم قدميه وقت أن كان كاسكا اللعين يستعد كالكلب من وراء ظهر قيصركى يطعنه فى عنقه . . يا لكم من منافقين !

كاسيوس : منافقون ؟ كل هذا بفضلك يا بروتس ! فما كان هذا اللسان ليؤذينا اليوم لوكنتَ أخذت بنصيحة كاسيوس .

أوكتافيوس : كفانا جدالا وهيّا إلى الحرب . فإن كان العرق يتصبّب منا من جرّاء الجدل ، فإن الدم هو الذى سيتصبّب منا من جرّاء حَسمه .

أنظرونى ! ها أنا أجرّد سيفى ضد المتآمرين . فمتى تحسبون أنه سيعود إلى غمده ؟ لن يعود إلى غمده حتى نثأر لجراح قيصر الثلاثة والثلاثين ، أو حتى تسفك سيوف الخونة دم قيصر آخر .

بروتـس : لن يكون بالوسع يا قيصر أن تموت بأيدى خونة مالم تكن قد أحضرتَهم معك !

أوكتافيوس : وهذا ما أرجوه . فأنا لم أولد حتى يقتلنى سيف بروتس !

بروتـس : لو أنك كنتَ أنبلَ أفراد عشيرتك أيها الشاب ، لما كان بمقدورك أن تموت ميتةً أكثر شرفا .

كاسيـوس : صبىّ مشاكس ليس أهلا لمثل هذا الشرف ، تحالَفَ مع لاهٍ عربيد !

أنطـونيـو : لا يزال كاسيوس على سالف عهدنا به !

أوكتافيوس : لننصرف يا أنطونيو من هنا . . إننا نقذف فى وجوهكم بتحدّينا أيها الخونة . فإن كانت لديكم الجرأة على قتالنا اليوم فهيّا إلى ميدان القتال ، وإلاّ ، فحين تساوركم الرغبة فيه .

(يخرج أوكتافيوس وأنطونيو وجيشهما)

كاسيـوس : فلتعصف الريح إذن ، ولتصطخب الأمواج فتتقاذف السفن ، فقد بدأت العاصفة وأضحى كل شىء في يد القدر .

بروتــس : لوسيليوس ! تعال ! أريد كلمة معك .

لوسيليوس : مولاى ؟

(يتقدم إلى بروتس ويتهامسان جانبا معا)

كاسيـوس : ميسّالا !

ميســالا : (يتقدم) ما وراءك يا مولاى ؟

كاسيـوس : ميسالا . اليوم عيد ميلادى ، ففى مثله وُلد كاسيوس . . ناولنى يدك يا ميسالا ، ولتشهد على أنى ، شأن بومبى من قبل ، قد خولف رأيى واضطررت رغما عنى إلى أن أخاطر بحريتنا وأعلّقها على نتيجة معركة واحدة . . . أنت تعلم أنى كنت من أتباع فلسفة أبيقور ، وأومن معه بسخافة الإيمان بالخزعبلات . غير أنى الآن قد غيّرت رأيى . وأصبحتُ إلى حدّ ما أصدّق نذر الشؤم . فأثناء رحلتنا من ساردیس هبط نسران عظيمان من الجوّ ووقفا على رايتنا الأمامية ، وظلا عليها يأكلان فى شرهٍ من أيدى جنودنا ، ثم تَبِعانا حتى وصلنا إلى فيليبى . وقد غادرانا هذا الصباح ووليّا ، وحلّت محلّهما غربان وحِدْآن ، تطير فوق رءوسنا ، وتحملق فينا من علٍ وكأننا فريسة على شفا الموت . . لقد أظلّت جيشنا بغطاء كالقـدَر المحتوم ، وغدا الجيش وكأنما سيُسلم الروح .

ميســـالا : لا تصدّق هذا .

كاسيوس : أصدّقه و لا أصدّقه . فمزاجي رائق وأنا على أتم استعداد لمجابهة كافة الأخطار دون خوف أو تردد .

بروتـــس : هو ذاك يا لوسيليوس .

كاسيوس : والآن أيْ بروتس النبيل ، لتكن الآلهة كريمةً اليوم معنا ، حتى إذا ما انتهت الحرب ظللنا صديقين فى زمن السلم ، وطال عمرانا حتى الشيخوخة . . ولكن ، حيث أن شؤون البشر سرّ فى يد القدر ، فلنعمل حساب أسوأ الاحتمالات . . إن نحـــن خسرنا هذه المعركة ، كانت هـــذه آخر مرة نتحدث فيها معا . فما الذى تنوى فعلهُ فى تلك الحالة ؟

بروتـــس : سأطبقّ تعاليم الفلسفة التى أدنتُ على هدْيها كاتو حين أزهق روحه بيده[1] . . لا أدرى كيف ، غير أنى أراه عملا جبانا شريرا أن يدفعنا الخوف مما قد يحدث إلى وقف مجرى الحياة بالانتحار . أما عنى فسأتسلّح بالصـــبر إزاء مـــا تقدّره الآلهةُ التى تتحكّم فى أمور أهل الأرض .

كاسيوس : فأنت إذن على استعداد لأن تُقاد فى موكب نصرهم خلال شوارع روما متى خسرنا المعركة ؟

بروتـــس : لا ياكاسيوس . لا . لا تظُنَنَّ أبدا أيها الرومانى النبيل أن بروتس سيمضى إلى روما مكبلا بالأغلال . إن روحه لأنبل من ذلك . غير أن يومنا هذا لابد سيشهد نهاية العمل الذى بَدَأْتُهُ فِعْلَةُ منتصف مارس . فأما عن احتمال لقائنا مرة أخـــرى فأمرٌ أجهله . فليودّع بعضنا بعضا

---

(١) يعنى الفلسفة الرّواقية التى تَسِمُ الانتحار بالجبن . وكان كاتو قد انتحر عقب هزيمة بومبى حتى لا يقع أسيرا فى يد قيصر .

وكأنه الوداع الأخير . . وداعــا إذن يا كاسيوس . وداعـا إلى آخر الدهر . فإن حدث والتقينا مرة أخرى فسنبتسم ، وإلافقد كان هذا الوداع على أطيب وجه .

كاسيوس : وداعا إذن يا بروتس ، وداعا إلى آخر الدهر . فإن نحن التقينا مرة أخرى فسنبتسم بكل تأكيد ، وإلا فقد كان هذا الوداع ، كما ذكرتَ ، على أطيب وجه .

بروتــس : فلتتقّدم إذن . . . آه لو كان بمقدور المرء أن يعرف سلفا ما سيسفر هذا اليوم عنه ! غير أنه يكفينا أن نعرف أن اليوم سينقضى لا محالة ، وعندئذ نعرف نتيجته . . هيا ! فلننصرف !

(يخرجون)

المشهد الثانى
ميدان القتال

(إشارة بدء القتال ـ يدخل بروتس وميسّالا)

بروتــــس : أسرع يا ميسالا بجوادك ، وأعط فيالق جيشنا على الجانب الآخر هذه الأوراق .

(صوت الأبواق يرتفع)

قل لهم أن يشرعوا فى الهجوم على الفور . فقد لاحظْت تراخيا فى جناح أوكتافيوس ، ولو هاجمناه فجأة دحرناه دَحْرا . . فلتسرع إذن يا ميسالا بحصانك ، وأمرهم أن يهبطوا جميعا .

(يخـرجـان)

المشهد الثالث

جانب آخر من ميدان القتال

(صوت أبواق - يدخل كاسيوس وتيتينيوس)

كاسيوس : انظر يا تيتينيوس ! انظر ! الأوغاد يفرّون ! لقد اضطررتُ إلى الالتفات إلى جنودى الفارّين لأقاتلهم قتالى للعدو . وهذا حامل لوائى الجبان كان على وشك الهرب فقتلتُه وأخذت اللواء منه .

تيتينيوس : آه يا كاسيوس ! لقد تعجّل بروتس بإعطائه إشارة بدء القتال ، وتحمّس أكثر مما ينبغى حين لمس ضعفا فى صفوف أوكتافيوس . وقد انشغل جُند بروتس بجمع الغنائم ، فانتهز أنطونيو الفرصة وحاصرنا جميعا .

(يدخل بينداروس)

بينداروس : لتسرع بالهرب يا مولاى ! لتسرع بالهرب ! فأنطونيو قد وصل إلى مخيّمنا يا مولاى . . فلتلُذ بالفرار أى كاسيوس النبيل ، ولتمض بعيدا عن هذا المكان .

كاسيوس : يكفينى أن ألوذ بهذا التّل . انظر ! انظر يا تيتينيوس ! أهذا مخيمّى الذى تشتعل النيران فيه ؟

تيتينيوس : أجل يا مولاى .

كاسيــوس : تيتينيوس . إن كنت تحبنى فاركب حصانى وانخسه بالمهماز حتى يغيب فى جسمه ، وحتى يوصلك إلى تلك القوات هناك ، ثم فلتعد إلىّ لتطمئننى على ما إذا كانت تلك القوات قواتنا أم قوات العدو .

تيتينيــوس : سأعود إليك فى مثل لمح البصر .

(يخرج)

كاسيــوس : امض يا بينداروس فَصَعِّد فى هــذا التل . . فقد كنتُ دائما كليل البصر . . لا تحوّل ناظريك عن تيتينيوس ، وخبرّنى بما تشاهده يجرى فى الميدان .

(يخرج بينداروس)

تنفّست الهواء لأول مرة فى مثل هذا اليوم . وها قد دار الزمان دورته . فحيث بدأت ستكون نهايتى . وقد أكملت حياتى دورتها . . ما الأخبار يا صاح ؟

بينداروس : (من علٍ) واأسفا يا مولاى !

كاسيــوس : ما الخَطْب ؟

بينداروس : قد أحاطوا بتيتينيوس من كل جانب . وجيادهم تركض مسرعة نحوه . غير أنه يحثّ فرسه على الإسراع . . قد باتوا الآن قاب قوسين منه ! ماذا يا تيتينيوس ! بعضهم يترجّل عن فرسه . وها هو يترجّل أيضا . . لقد أسروه ! (صياح) اسمع ! إنهم يتصايحون فرحا .

كاسيوس : فلتهبط إذن . لاتشهد المزيد . ما أجبننى إذ يمتد بى العمر حتى أرى أعزّ صديق لى يؤسر أمام عينى .

(يهبط بينداروس إليه)

أقِدم أيها الرجل ! تذكُر أننى أَسَرْتُكَ فى فارس ، واستحلفتك حين أنقذت حياتك أن تطيعنى فى كل ما آمرك به . وقد حان الآن أوان إيفائك بعهدك . ولن تكون عبدا بعد اليوم . . خذ هذا السيف المشحوذ ، واطعن به أحشاء كاسيوس وصدره . . لاتتردّد ولا تُجبِنى . خذ . أمسك بمقبضه . وحين أغطى وجهى ، وقد غطّيته الآن ، وجّه السيف نحوى . (بينداروس يطعنه) . . . قد أخذتَ بثأرك يا قيصر . . وبنفس السيف الذى قتلك !

(يموت)

بينداروس : قد نلتُ حريتى . ولو كـــان الأمر منوطا بمشيئتى ما قبلتُ ذلك . أُواه يا كاسيوس ! سأولّى هاربا من هذا البلد حتى لا يرانى رومانى ما حييت !

(يخرج)

(يدخل تيتينيوس وميسالا)

ميســـالا : إنه تقلّب أحوال الحرب يا تيتينيوس . فقد دَحَرت قوات بروتس النبيل أوكتافيوس ، ودَحَر أنطونيو قوات كاسيوس .

تيتينيوس : سيجد كاسيوس العزاء فى هذا الخبر .

ميســـالا : أين تركتَه ؟

تيتينيوس : تركته عند هذا التل مع عبده بينداروس وكان اليأس قد استبدّ به .

ميسالا : أليس هو ذاك الراقد على الأرض ؟

تيتينيوس : ليست هذه رقدة رجل حىّ . . آه ! واقلباه !

ميســـالا : أليس هو كاسيوس ؟

تيتينيوس : بل كان كاسيوس يا ميسالا . أما كاسيوس فلا وجود له الآن . . إيهٍ أيتها الشمس الغاربة : كما تلتحفين هذا المساء بأشعتك الحمراء ، كذا يلتحف يومُ كاسيوس بدمه القانى . . قد غَرُبت شمسُ روما وانقضى يومُنا . فلتقدم السحب والطلّ ، ولتحُدق بنا المخاطر ، فقد انتهت مهامّنا . وما ارتكب فعلته هذه إلا لفقدانه الثقة فى إمكان نجاحى .

ميسالا : ما ارتكب فعلته هذه إلا لفقدانه الثقة فى النصر . . ألا ما أبشع الخطأ وليد الاكتئاب ! إنه يُظهر لمن هو على استعداد لتصديق الوهم أمورا لا أساس لها ولا حقيقة . . الأُمّ تحمل بالخطأ قبل الأوان ، وتكون ولادته نذير شؤم إذ يقتلُ الأُمّ التى حملته .

تيتينيوس : (ينادى) بينداروس ؟ أين أنت يا بينداروس ؟

ميسالا : ابحث عنه ياتيتينيوس ريثما أمضى إلى بروتس النبيل فأطعن أذنه بهذا النبأ . أقول « أطعن » لأنى واثق من أن أُذُنَىْ بروتس تفضّلان طعن السيف الصارم والسهام المسمومة على سماع الخبر عما رأيناه .

تيتينيوس : أسرع يا ميسالا ، وسأبحث أنا عن بينداروس أثناء غيبتك .

(يخرج ميسالا)

لماذا أرسلتنى أى كاسيوس الباسل ؟ لقد قابلتُ أصدقاءك الذين كلّلوا جبينى بأكاليل النصر ، وطلبوا منى أن أعطيك إيّاها . . ألم تسمع هتافاتهم ؟ واأسفاه ! لقد أسأتَ فهم كل شيء . . . ولكن مهلا ! سأضع هذا الإكليل من الزهر على جبينك ، فقد طلب منى صديقُك بروتس أن أعطيك إيّاه ، وسأفعل ما أشار به علىّ . . بروتس ! أقدِم سريعا وانظر كيف أُظهر تقديرى لكايوس كاسيوس . . معذرة أيتها

الآلهة ، فإنما أُلبّى دعاء واجب الرومانى . وتعال يا سيف كاسيوس فابحث عن طريقك إلى قلبى .

(يقتل نفسه)

(صوت أبواق - يدخل ميسالا ومعه بروتس ، وكاتو الصغير ، وستراتو . وفولامنيوس ، ولوسيليوس ، وآخرون)

بروتـــس : أين يا ميسالا ، أين ؟ أين جثته ؟

ميســالا : هناك . وهذا تيتينيوس يند به .

بروتـــس : وَجْه تيتينيوس إلى السماء .

كاتـــو : لقد قُتِل .

بروتـــس : أراك يا قيصر لاتزال على جبروتك . . روحك تهيم بيننا وتحوّل أسيافننا وجهة أحشائنا نحن !

(صوت أبواق من بعيد)

كاتـــو : انظر كيف توّج تيتينيوس جبين جثة كاسيوس بإكليل .

بروتـــس : أثمة رومانيّان على قيد الحياة مثل هذين الرجلين ؟ وداعا آخرَ الرومان ! إنه لمن المحال أن تُنجب روما شبيها بك . . أيها الأصدقاء : إننى مدين لهذا الرجل الصريع بدموع أغزر مما سترونني أذرفها . . سأجد الوقت لبكائك يا كاسيوس . . سأجد الوقت . . هيا إذن ، وابعثوا بجثته إلى ثاسوس ، فلن تشيّع جنازته فى معسكرنا حتى لا توهن من عزائمنا . . تعال يا لوسيليوس ، وهيّا يا كـاتو ، فلنمض معا إلى الميدان . وامض يا لابيو مع فلافيوس فاطلبا من جنودنا أن يبدءوا القتال . . قد بلغت الساعة الثالثة . وقبل أن يهبط الليل أيها الرومان ، سنجّرب حظّنا مرة أخرى فى الميدان . (يخـرجـون)

المشهد الرابع

موضع آخر من ميدان القتال

(صوت أبواق ـ يدخل جنود من كلا الجيشين يقتتلون ـ ثم يدخل بروتس ، وكاتو الصغير ، ولوسيليوس ، وآخرون)

بروتس : واصلوا القتال يا بنى وطنى ! واصلوا القتال وارفعوا عاليا رءوسكم !

كاتو : لن يُلقى بسيفه غير ابن زِنا ! من يتقدم معى ؟ سأعلن اسمى فى أرجاء الميدان . . أنا ابن ماركوس كاتو ، عدوّ الطغاة وصديق بلادى ! أنا ابن ماركوس كاتو أيها الناس !

(يدخل جنود يتقابلون)

بروتس : وأنا بروتس . . ماركوس بروتس . . بروتس صديق بلادى . . هاكم بروتس !

(يخرج)

لوسيليوس : أَقتلوك أى كاتو الشاب ؟ أى كاتو النبيل ؟ إنك لتموت ميتة تيتينيوس الباسل . ولأنت يا ابن كاتو جدير بآيات التبجيل .

الجندى الأول : سلّم نفسك وإلا قُتلت .

لوسيليوس : أستسلم شرط أن تقتلنى . وستغنم الكثير من جرّاء قتلك إيّاى على الفور . فأنت إنما تقتل بروتس ، وسيكون فى هذا شرف عظيم لك .

الجندى الأول : واجبى غير هذا . . كرامُ القوم يؤخذون أسرى .

الجندى الثانى : أفسحوا المكان . . خبرّ أنطونيو أن بروتس قد وقع فى الأسر .

الجندى الأول : سأنقل النبأ إليه . . ها هو القائد قد وصل .

(يدخل أنطونيو)

أسرنا بروتس ! أسرنا بروتس يا مولاى !

أنطـونيــو : وأين هو ؟

لوسيليوس : هو آمن يا أنطونيو . بروتس آمن آمن . ودعنى أؤكد لك أنه ما من عدوّ بوسعه أن يأسر بروتس النبيل حيا . فلتحمه الآلهة من مثل هذا المصير المخزى ! فإن أنت وجدتّه حيا أو ميتا ، فإنما ستجده بروتس ، جديرا بنفسه .

أنطـونيـو : ليس هذا ببروتس يا صديقى . غير أنى أطمئنك على أنه غنيمة لا تقل قيمة عن بروتس . . حافظوا على حياة هذا الرجل ، وأحيطوه بكل مظاهر الرعاية . . إنى لأفضّل أن يكون أمثاله من أصدقائى على أن يكونوا من أعدائى . . تقدّموا فانظروا ما إذا كان بروتس فى الأحياء أو الموتى ، وعودوا إلينا بالخبر عن الأوضاع فى مخيّم أوكتافيوس .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المشهد الخامس

موقع آخر من ميدان القتال

(يدخل بروتس ، وداردانيوس ، وكليتوس ، وستراتو ، وفولامنيوس)

بروتـــس : تعالَىْ أيتها الزّمرة المسكينة الباقية من الأصدقاء ، ولنسترح فوق هذه الصخرة .

كليتـوس : لقد رفع ستاتيليوس مشعلا موقدا لإعلامنا بالنصر . غير أنه لم يعد إلينا يا مولاى . فإما أن يكون قد أُسر أو قُتل .

بروتـــس : اجلس يا كليتوس . . القتل هو الأرجح مُذْ غدا شائعا بيننا . . اسمعنى يا كليتوس . (يهمس فى أذنه) .

كليتـوس : ماذا ؟ أنا يا مولاى ؟ ! لو مُلِّكتُ الدنيا بأسرها ما فعلت .

بروتـــس : فلتسكت إذن ولاتنبس بكلمة .

كليتـوس : قَتْلُ نفسى أحبُّ إلىّ مما تدعونى إليه .

بروتـــس : اسمعنى يا داردانيوس (يهمس فى أذنه)

داردانيوس : أَرتكبُ هذه الفعلة ؟ !

كليتـوس : أُواه يا داردانيوس !

داردانيوس : آه يا كليتوس !

كليتوس : أىّ طلب شنيع طلبه بروتس منك ؟

داردانيوس: أن أقتله يا كليتوس . . انظر . إنه غارق فى التأمل .

كليتوس : قد فاضت الأحزان من هذا الإناء الكريم حتى نزلت من عينيه .

بروتس : أَقبِل يا عزيزى فولامنيوس ، واسمع كلمة منى .

فولامنيوس : أمر مولاى ؟

بروتس : هَاكَه يا فولامنيوس : لقد ظهر لى شبح قيصر مرّتين بالليل ، الأولى فى سارديس ، والأخرى ليلة البارحة هنا فى سهول فيليبى ، فعرفتُ أن أجلى قد دنا .

فولامنيوس : كلا يا مولاى .

بروتس : بل أنا واثق من ذلك يا فولامنيوس . . أنت ترى الدنيا يا فولامنيوس وترى مجرى أمورها . . قد طاردنا أعداؤنا حتى شفا هوّة الموت .

(صوت أبواق يأتى من بعيد)

وأجدر بنا أن نقفز نحن إلى الهوّة من أن ننتظر حتى يلقونا هم فيها . . أى فولامنيوس العزيز ، تعلَم أننا كنا سويا فى المدرسة . فبحقّ مودّتنا القديمة إذن ، أناشدك أن تُمسك بقائمة سيفى حتى ألقى بجسدى عليه .

فولامنيوس : ليست هذه مهمة الصديق يا مولاى .

(صوت الأبواق يتردّد)

كليتوس : النجّا النجّا يا مولاى ! لا يتخلّفنّ أحد هنا .

بروتس: وداعا لك ، ولك ، ولك يا فولامنيوس . . . ستراتو ! قد كنتَ نائما طلية الوقت . وداعا لك أيضا يا ستراتو . . أى مواطنىّ ، إن قلبى لتغمره السعادة إذ أرى أننى ما صادفتُ فى حياتى امرءًا إلا كان وفيا لى . سيكون مجدى من جرّاء هذه الهزيمة اليوم أعظمَ من المجد الذى سيجنيه أوكتافيوس وأنطونيو من نصرهما المزرى . فوداعا إذن ولنفترق على

الفور ، فقد كاد لسان بروتس أن ينْهى قصة حياته . . . الليل يُثْقل جفنىّ ، وعظامى تتوق إلى الراحة وهى التى ما جاهَدَتْ إلا لتبلغ هذه الساعة .

(صوت أبواق وصيحات : النّجا ! النّجا ! النّجا !)

كليتـوس : لتسرع يا مولاى بالفرار !

بروتـــس : إذهبوا أنتم ، وسأتبعكم .

(يخرج كليتوس وداردانيوس وفولامنيوس)

أناشدك يا ستراتو أن تبقى مع مولاك . . إنك امرؤ طيب السمعة ، وكانِ لحياتك مذاق الشرف . . أمسك إذن بقائمة سيفى ، وأَدِرْ وجهك إلى الخلف ريثما أُلقى بنفسى عليه . أتقبل يا ستراتو ؟

ستراتـــو : أعطنى يدك أولا . . وداعا يا مولاى

بروتـــس : وداعـا يا عزيزى ستراتـــو . (يلقى بنفســـه على سيفه) فلتهدأ الآن يا قيصر . ما كان قتلى إياك بأرْضَى لى من قتلى لنفسى .

(يموت)

(صوت بوق يدعو الجنود إلى العودة ـ يدخل أوكتافيوس ، وأنطونيو ، وميسالا ولوسيليوس ، والجيش)

أوكتافيوس : خادم مَن هذا ؟

ميســـالا : خادم مولاى بروتس . . ستراتو ، أين سيدك ؟

ستراتـــو : قد تحرّر من العبودية التى وقعَت فيها يا ميسّالا . وليس بوسع الظافرين إلا أن يحرقوه . فما قَهَرَ بروتس غير بروتس نفسه ، وما لإنسان غيره أن يدّعى لنفسه شرفَ قتله .

لوسيليوس : كذا النهاية الجديرة ببروتس . وشكرا لك يا بروتس إذ برهنتَ على صدق نبوءتى [1] .

أوكتافيوس: كّل من خَدَم بروتس سيُلحق بخدمتى وسأُحسن إليه . . أتقبل أيها الشاب أن تقضى أيامك معى ؟

ستراتـــو : أجل ، شرط أن يوصيك ميسّالا بى .

أوكتافيوس: أوصنى به يا ميسالا .

ميســـالا : كيف مات سيدك يا ستراتو ؟

ستراتـــو : أمسكتُ بسيفه فألقى بنفسه عليه .

ميســـالا : فلتُلْحِقْه إذن يا أوكتافيوس بخدمتك ، فهو الذى أدّى لمولاى هذه الخدمة الأخيرة .

أنطـونيو : قد كان هذا الرجل أنبل الرومان طُرّا . . كل المتآمرين عداه فعلوا ما فعلوه بقيصر العظيم عن حسدٍ له . أما هو فما انضم إليهم إلا عن رغبة مخلصة فى خدمة روما وأهلها . . كـــان النُّبل سمةَ حياته ، وما صوّرتْه الطبيعة على هذا النحو إلا لكى تهتف بالعالم بأسره : « هاكم مثال الإنسان النبيل ! »

أوكتافيوس : لنعامله إذن بما هو أهل له من الاحترام ، ولتكن طقوس جنازته خليقة به . . ستبقى رفاتُه فى خيمتى هذه الليلة ، كما يجدر بالجندى ، موفّرين له كل الترتيبات المناسبة لجنازة رجل نبيل . . . ادعوا الجنود إذن إلى الراحة وإلى السلم من جديد . ولننصرف لنقتسم فيما بيننا أمجاد هذا اليوم السعيد .

(يخرجون)

---

(١) يقصد قوله إنه « ما من عدو بوسعه أن يأسر بروتس النبيل حيّاً » (الفصل الخامس : المنظر الرابع)

رقم الإيداع ٧٦٢٢ / ٩٤
I.S.B.N 977-09 - 0225 - x

مطابع الشروق

القاهرة. ١٦ شارع حواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤

بيروت · ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

يوليوس قيصر

وليام شكسبير

مسرحية « يوليوس قيصر » من أروع ما خَطّه قلم شكسبير ، وهى بداية سلسلة أعماله الكبرى التى تشمل « هاملت » ، و « عطيل » ، و « الملك لير » ، و « مكبث » ، و « أنطونيو وكليوباترا » و « كوريولانوس » و « العاصفة » . وقد كانت هذه المسرحية القوية أثيرةً دوما عند القراء والمشاهدين منذ أول عرض لها عام ١٥٩٩ إلى يومنا هذا بعد مرور أربعة قرون . ويرجع معظم الفضل فى ذلك إلى إتقان شكسبير لبنائها أعظم إتقان ، وموازنته الدرامية بين الأطراف المتصارعة فيها . فبالرغم من اعتماد المسرحية بصفة رئيسية على كتاب « السِّيَر » لبلوتارك ، فإن عبقرية شكسبير الدرامية تتجلّى فى انتقائه للمادة المتوفّرة فى المصدر ، وفيما أضافة إليها أو غيّره منها ، وفى تناول مخيّلته للموضوع ، وفى عدم التزامه التزاما صارما بالحقائق التاريخية حين يخلّ مثل هذا الالتزام بالضرورات الفنية ، أو بتصوير الشخصيات على النحو الذى ارتآه ، أو بالحبكة الدرامية وما تقتضيه المسرحية من ضغط للوقت والأحداث .